5 – المدنُ والقرى اللّبنانيّة من خلال كتب الجغرافيّين العرب أصحاب «المسالك والممالك»

The cities and villages of Lebanon through the sources of Arabe geographers. “The possessors of Routes and Kingdoms”.



بقلم الدكتور: جورج نصّار

أستاذ مُحاضر في قسم التاريخ في الجامعة اللبنانيّة/ كليّة الآداب والعلوم الإنسانية /الفرع الثالث

georgeshn@hotmail.com

ملخص:

يتضمن هذا البحث مساهمة مؤلفات الجغرافيين العرب وخاصة أصحاب المسالك والممالك بالرغم من تشابه الأسماء وإختلاف المضامين وإبراز ورؤيتهم على الرغم من إختلاف نظراتهم في رصد مسارات حضارة وتاريخ المنطقة عموما ولبنان خصوصا. وقد قدم هذا البحث رؤية شاملة لمشاهدات الجغرافيين في المناطق التي زاروها أو تحدّثوا عنها وقد بلغ عددها 31 قرية ومدينة. لذلك يعزز هذا البحث فهمنا للعلاقة العميقة بين التاريخ اللبناني والتراث العربي لكون تاريخ وجغرافية لبنان دور حيوي في تاريخ المنطقة.

بدأنا هذا البحث بمقدمة عن الجغرافيا ومفهومها وتطورها عند العرب. ثم تناولنا بإسهاب الجغرافيا والرحلات في الإسلام. وقد خصصنا مساحة للبحث في موضوع التأريخ للمدن والقرى اللبنانية. ثم بحثنا في المدن والقرى اللبنانية المذكورة في كتب المسالك والممالك. وأنهينا البحث بخاتمة إحتوت على الإستنتاجات التي توصلت اليها هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية : لبنان، المسالك والممالك، الرحالة، الجغرافيون، المدن والقرى.

Abstract:

This research includes the contribution of Arab geographers, especially those of the routes and kingdoms, despite the similarity of names and differences in content, highlighting their perspectives and visions despite their differing views on tracing the paths of civilization and the history of the region in general and Lebanon in particular. This research provided a comprehensive overview of the observations of geographers in the areas they visited or discussed, totaling 31 villages and cities. Therefore, this research enhances our understanding of the deep relationship between Lebanese history and Arab heritage, as Lebanon's history and geography have played a vital role in the region's history.

We began this research with an introduction to geography, its concept, and its development among Arabs. Then, we extensively discussed geography and travel in Islam. We dedicated a section to research on the history of Lebanese cities and villages. Then, we explored the cities and villages of Lebanon mentioned in the books of routes and kingdoms. Finally, we concluded the research with conclusions drawn from this study.

Keywords: Lebanon, Routes and kingdoms, Travelers, Geographers, Cities and villages.

أولاً: مقدمة:

إنّ كَلمة جغرافيا لم تُستعمل للدلالة على عِلْم الجغرافيا إلا مُتأخّرا، وجَرى قُدماء الجغرافيّين على استعمال هذا اللفظ عِلمًا على كتاب بطليموس المعروف في الجغرافيا وعلى كِتاب مارينوس الصُوريّ كما يقول المسعوديّ في التّنبيه والإشراف، وقد فُسّرت كلمة جغرافيا في هذا الموضع بأنها قطع الأرض، وفُسرت بأنها صورة الأرض، ومن هنا سُمّيت كُتب الجغرافيّين والرحّالة بـ « صورة الأرض « كما هو الحال مع كتاب ابن

حوقل والخوارزميّ، ولم يُصبح لهذه الكلمة المعنى الذي نعرفه اليوم من علم الجغرافيا إلّا في أزمنة حديثة بعض الشيء[1].

ازدادت معلومات العرب الواقعيّة عن العالم غير العربيّ إبّان الفتوحات الكبرى، ودُوّنت هذه المعلومات في أوّل ما كُتب عن هذه الفتوح. فكُتب الحديث وأبواب الفُتوح منها خاصّة صَدى لِما دوّن من هذه المعلومات ولكنّها في جُملتها لا تُزوّدنا بمَعارِفَ جُغرافيّة مميّزة ففيها ذِكرٍ لِفضائل المُدُن والبلدان المختلفة مثل المدينة وبيت المقدس والشام ومصر واليمن[2].

أدّت مجموعات كُتب الرحلات وغيرها من المعلومات العلميّة إلى ظهور كُتب مختلفة في المسالك والممالك، وأقدم الكتب التي تُسمّى بهذا الاسم ما ألّفه أبو العبّاس جعفر بن أحمد المروزيّ المتوفّى عام 274 هـ./ 887 م، كما في رواية صاحب كتاب الفِهرست. ولكن إذا كان ابن خرداذبة والأصح خُرّداذبة بالراء المشدّدة قد كتب النسخة الأولى من مُصنّفه كتاب المسالك والممالك حوالي عام 232 هـ./ 846 م. كما يظنّ ده غوي de Goeje فإن رواية الفِهرست لا يمكن أن تكون صحيحة. ومن المؤلفين القدامى الذين صنّفوا كتاباً بهذا الاسم أحمد بن محمد الطيّب السرخسيّ المتوفّي عام 286 هـ./ 899 م. ولكنّه مفقود. وليس لدينا إلّا كتاب ابن خرداذبة الذي يزوّدنا بمعلومات فريدة ومميّزة[3]، وهو يعتبر أقدم جغرافيٍّ عربيّ.

ومن هنا يُمكننا القول إنّ كتب الرحلات تُعتبر نوعًا من المصادر الجغرافيّة، ومن ثمّ يمكن أن نستعمل بعض ما وَصلنا منها كمصادر مباشرة. فالجغرافيّون المسلمون الذين كتبوا عن جولاتهم هم أساسًا أولئك الذين زاروا أقطارًا خارج العالم الإسلاميّ كانت مَثارًا لإعجابهم وإعجاب قرّائهم كالهند والصين وروسيا. والواقع أنّ الرحلات في الأقطار الإسلاميّة لم تحتل لنفسها مكاناً في الإنتاج الفكريّ حتى الحروب الصليبيّة. وعندما أخذت مكانها كان كُلُّ الرحّالة تقريباً من المسلمين المَغارِبة الذين دفعهم إلى الشّرق الدراسة وحبّ الاستطلاع، مع أنّ بَعض الفرس والأتراك تركوا وَصْفًا لِرَحَلاتِهم إلى المشرق، إلا أنّهُ ليس بين يدينا إلّا القليل عمّا كتبهُ الرحّالةُ المشارقة الذين طافوا

1 كرامرز ، **مقال جغرافيا: دائرة المعارف الإسلاميّة**، المجلد السابع، أصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دار المعرفة، بيروت، لا ت، ص11

2 كرامرز ، **المرجع نفسه**، ص13

3 كرامرز ، **المرجع نفسه**، ص17

ببلاد الشام[1].

كانت علوم الجغرافيا حتى عصر الكُشوف كُلّها تقريبًا حِكراً على الحضارة الإسلاميّة على الرّغم من كلّ ما فُقِدَ منها، فلا تزال للجغرافيّين المسلمين وخاصّةً جغرافيي العصر الذهبيّ (القرن الرابع الهجريّ/ العاشر الميلاديّ) أهميّة كبيرة لدى علماء الغرب.

ومن أبرز من كَتَبَ عن الجغرافيا الإسلاميّة، وتُعتَبَر مُؤَلَّفاتُهم إرثًا كلاسيكِيًّا كل من:

كرامرز صاحب مقال **GEOGRAPHIE**، ورينو M. Reinaud في مقدّمة ترجمته الفرنسيّة لكتاب أبي الفداء عن جغرافيا (**تقويم البلدان**) **بعنوان مقدّمة عامّة عن جغرافية الشرق Introduction générale à la géographie Des Orientaux** ، إضافة إلى ما نشره بالروسيّة كراتشكوفسكي في كتابه تاريخ **الأدب الجغرافيّ**، وموسوعة ياقوت الحمويّ **معجم البلدان** وقد حقّقه فوستنفلد ونشر في ستّة مجلّدات سنة 1866 – 1873[2]، إضافةً إلى **كتاب البلدان** لابن واضح اليعقوبيّ، و**الرسالة الموسومة** بهذا الاسم أيضًا لابن الفقيه الهمذاني، وكتاب **الأعلاق النفيسة** لابن رسته، و**صورة الأرض** للخوارزميّ (مفقود)، وغيرها من المصنّفات للبيرونيّ في **القانون المسعوديّ**، و**كتاب الأطوال** الذي لا نَعرِفُ مُؤلِفَهُ، وكتاب **الخراج** لابن قدامه، **والمسالك والممالك** للجيهانيّ، وكذلك البتّانيّ في كتابه **عن الأرض** وهو مفقود، والبلخيّ في كتابه **صورة الأقاليم** وهو مدموج في كتاب الإصطخري **المسالك والممالك** وكتاب ابن حوقل في **المسالك والممالك**، فيما بعد أطلق ميلر K.Miller على أطلس البلخيّ الجغرافيّ اسم **أطلس الإسلام**. والمقدسيّ في كتابه **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وكتاب حدود العالم** لمؤلف مجهول، ثم المسعوديّ صاحب كتابيّ **مروج الذهب** و**التنبيه والإشراف**.

أمّا كتاب محمّد بن يوسف الورّاق **المسالك والممالك** فلم نَعْثُر عليه لأنه مفقود، ولكنَّ البكريّ صاحب كتاب **المسالك والممالك** اعتمد عليه كثيرًا[3].

يقع لبنان كما جاء في تقييم الأقاليم السبع التي تشكّل المعمورة من الأرض ضمن الإقليم الثالث أي ما يُعرف بإقليم الشام. وفي هذا الصدَد يقول ابن أيبك الدواداري نَقلاً عن صاحب الجغرافيا: «الدنيا سبعة أقاليم وكلّ إقليم تسعمائة فَرْسَخ في مِثلها والبحر

1جان سوفاجيه وكلود كاهن، **مصادر دراسة التاريخ الإسلامي**، ترجمة د. عبد الستّار حلوجي ود. عبد الوهّاب علّوب، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص69

2 جان سوفاجيه وكلود كاهن، **مصادر دراسة التاريخ الإسلاميّ**، ص69

3 كرامرز ، **جغرافيا**، ص23.

الأعظم محيطٌ بها وجبل قاف وراء البحر وأطرافُ السماء عليه كأطراف الخيمة على وجه الأرض، وإنَّ خُضْرَةَ السّماء من لَونِهِ، ولِبُعْدِ السماء من مسافة الأرض تَبَيَّنّ أنّها زرقاء...»، ثمّ رتّب الأقاليم فقال: «أوّلها إقليم الهند، ثمَّ إقليم الحجاز، ثمَّ إقليم مصر[1]، ثمّ إقليم بابل، ثمّ إقليم الروم، ثمّ إقليم الترك، ثمّ إقليم الصين[2].

أمّا إقليم الشّام الثالث فيبتدئ من المشرق ويمرّ على بلاد الصين ثمّ على بلاد الهند، ثمّ على شماليّ بلاد السند، ثمّ على بلاد كابل وسجستان، ثمّ على سواحل بحر البصرة وفيه مدينة إصطخر وسبأ ونيسابور وشيرَز وسيراف، ثمّ يمرّ على كُوَر الأهواز والبصرة وبغداد والكوفة والأنبار وهيت، ثمّ يمرّ على بلاد الشام: حمص ودمشق وصور وعكّا وطبريّة وعسقلان وغزّة والقدس والرمّلة، ثمّ يقطع أسفل مصر ويمرّ على تنّيس ودمياط والفسطاط مع الفيّوم والإسكندريّة، ثمّ يردّ على بلاد المغرب ويدخلُ في سَبتة حتى ينتهي إلى البحر الكبير، قال أبو معشر: وله من البروج الجوزاء ومن النجوم عُطارد، وهواؤه غليظٌ يورثُ الصفار مَرَض من يَسكُنُهً من المغرب أكثره الإستسقاء والبطن، والغالب على الشّام الدم، وحدّه من العريش إلى الفرات».[3]

ثانيًا: الجغرافية والرحلات في الإسلام:

اهتمّ الرحّالة والجغرافيّون بإصدار كُتب لِوَصْفِ الأقاليم ورَسْمِها وكانت المُحاولات الأولى تَدور حول التّعَرّف إلى البلاد وطرقها وخراجها ومن ثمّ كتب المسالك والممالك التي تعتبر من أقدم الكتب الجغرافيّة العربيّة تقريراً عن جباية الخلافة العبّاسيّة في أواسط القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلاديّ.

تجدر الإشارة إلى أنّ الإسلامَ شجّعَ الكتابة الجغرافيّة لسببين: أوّلُهُما تحديدُ طرقِ الحجّ ومسالِكِهِ، وثانيهما طلبُ العلم وتدوينُ المشاهدات لِيَطَّلِعَ عليها الخَلَفَ ويستفيد منها[4].

وفي هذا الصدد يذكر زيادة نقلاً عن ميلر: إنّ الكُتّابَ الجغرافيّين العرب الذين ذُكروا يمثّلون المعرفة الجغرافيّة اليونانيّة – الرومانيّة مُترجمة إلى اللغة العربيّة، وإنّ الخرائط

1 نلاحظُ أنَ الإقليم الثالث هو إقليم مصر، لكنّ مؤرّخنا يعودُ في الصفحة التالية ليسميه اقليم الشّام، فإقتضى التوضيح.

2 ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله، **كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الأول (الدرّة العليا في أخبار بدء الدنيا)**، تحقيق بيرند راتكه، منشورات المعهد الألمانيّ للآثار، القاهرة، 1982، ص97.

3 ابن أيبك الدواداري، **المصدر نفسه**، ص ص 99 – 100.

4 نقولا زيادة، **الرحّالون المسلمون والأوروبيّون إلى الشرق العربيّ في العصور الوسطى**، الطبعة الأولى، الدار العربيّة للموسوعات، بيروت، 2010، ص 28.



التي رسَموها كانت منقولة عن بطليموس[1].

وتمتاز هذه الفترة بأنّ الخرائط التي رَسَمَها هؤلاء الجُغرافيّون « كانت إنتاجًا عربيًّا خالصًا «، وقد أحصى ميلر مئتين وخمسًا وسبعين خارطةً للعالمِ الإسلاميّ تَعودُ إلى ذلك العصر[2].

ويُضيفُ زيادة: إنّ الكتبَ الجغرافيّة العربيّة تمتازُ، وخاصّةً بعد تحرُّرِها من تأثيرِ اليونان المُباشِر فيها، باعتمادِها على المُشاهدة الشَّخْصِيَّة والحِّس، وفي هذا الصدد يذكر زيادة نقلًا عن ابن حوقل ما يلي:« وأعانني على تأليفه تواصُلُ السفر وانزعاجِي عن وَطني...إلى أَنْ سَلَكْتُ وجه الأرض بأجمَعِهِ في طُولِها، وقَطَعْتُ وَتَرَ الشّمس على ظهرها «، وينقل عن الإصطخريّ قوله: «ذكرتُ في كتابي أقاليم الأرض على الممالك وقَصَدْتُ مِنها بِلاد الإسلام بِتَفْصيل مُدُنِها وتقسيمِ ما يعودُ بالأعمال المجموعة إليها «[3].

ثالثًا: التأريخ للمدن والقرى اللّبنانيّة:

إنَّ التأريخَ عن المُدن اللّبنانيّة من خلال نظرة المؤرخين والرحّالة والجُغرافيّين إليها أصحاب «المسالك والممالك» أيامَ الخلافةِ العبّاسيّة يُعتبر من أصعب المراحل وأكثرها غُموضاً وتَعقيداً، خاصّة عندما تَتَضارب الممالك وتتشابك المسالك وإحداثياتُها مع اختلاف نظرة كلّ منهم إلى الفرسخ والميل. أضف إلى ذلك اندثار بعض المدن والقرى واختفاءها عن سطح الأرض واندماجها بِقُرى أكبر كَبَعْضِ المَزارِعِ الصغيرة على سبيلِ المثالِ لا الحصر.

إنّ ضآلةَ المعلوماتِ المتوفّرة لدينا أكّدَها بشكلٍ ثابت بعضُ المؤرخين الذين كَتَبوا تاريخ لبنان في العصور الوسطى أمثال كمال الصليبيّ في كتابه «منطلق تاريخ لبنان» ومحمد علي مكّي في كتابه «لبنان من الفتح العربيّ إلى الفتح العثمانيّ»، حيث يُعبّر عن تلك الصعوبات في مقدّمة كتابه بقوله: «نَعترف بِصعوبة الكتابة والتفتيش عن أخبار المناطق اللبنانيّة المَثْبوتة بِنَدارَة في بُطون الأصول التّاريخيّة، ولكنّ تلك الصعوبة لا تُبَرِّر هذا الإهمال الذي يُؤدّي إلى مَنْعِ تَوضيح التّرابط التّاريخيّ بَين حاضر لُبنان وماضيه القريب والبعيد»[4].

1 زيادة، **المرجع نفسه**، ص 72.

2 زيادة، **المرجع نفسه**، ص 74.

3 زيادة، **المرجع نفسه**، ص ص 74 – 75.

4 محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، طبعة دار النهار، بيروت، لا ت، ص 7.

من هنا تَتَّضِحُ لنا مَدى الصُّعوبة التي يُعانيها مُؤرخو وجُغرافيّو العصور الوسطى التي امتدّت حوالي تسعة قرون، وقد أُهْمِلَت إهْمالاً مُسْتَغْرَبًا، بينما نَرى غَزارةً في الكِتابة عن المُدن اللّبنانيّة في العصور الحديثة، وخاصة من قِبَلِ الرحّالة الأجانب. وبالرغم من ذلك فقد حَظِيَ لبنان بكِتابات مُتعدّدة لدى جغرافيّين مُعاصِرين للحَقَبَة العبّاسيّة، وكانت مَحاور كِتاباتِهم تدور حَول جبال لبنان وسواحله ومدنه وقراه، واتخاذِهِ موطناً للزُّهْد والعبادة وحَوْلَ مَواقِع مُدُنِه وتَحْصيناتِها والمراحل البَريديّة التي تَفصِلُها عن بعضِها البعض، وقد عَبَّروا عن إعجابهم مثلاً بقلعة بعلبك وآثارها ومَوْقِع جبل لبنان وطِيبِ مُناخِهِ وارتفاع قمَمِه المُمَيّزة[1].

ثمّة أمرٌ ضروريّ لا بُدّ من الإشارة إليه ألا وَهو: كان لاتساع نطاقِ التِّجارة في العصر العبّاسيّ الأول واتصّال مدينة بغداد حاضِرة العبّاسيّين برّاً وبحراً بالبُلدانِ القاصيّة، ثمّ لِتَعْبيدِ الطُّرق وجَعْلِها آمنةً وسالكةً أثرٌ كبيرٌ في تَسهيلِ الأسفار وتَمْهيدِ السُّبل أمام الكاشفين والرحّالين، فَظَهَرَ عددٌ كبيرٌ مِنْهُم قاموا برحلات مهمّة ووَضَعوا في وَصْفِها الكُتُب والأسفار، وقد وَصَفوا ما شاهدوه في البُلدان التي زاروها وصفاً دقيقاً مبنيّا على المشاهدة. وبذلك خلّف لنا جغرافيّو المسلمين ثروةً كبيرةً من الكُتُبِ القيِّمَة والنادرة هي خُلاصةُ مُشاهداتِهم وتَجارُبِهم التي اكتسبُوها مِن أسفارهم وتِرحالِهم في عدد كبير من الأقاليم والممالك والبلدان والدول.

ومِن المَعلومِ أنَّ رحلاتِ المُسلمين كانت قد وَصَلَت بَحْرًا في عهد الخليفة العبّاسيّ هارون الرشيد[2] إلى الهند وسيلان وشبه جزيرة ملقا والصين. ويقالُ إنّهم وصلوا بحرًا إلى كوبا. كما كان للفُتوحاتِ الإسلاميّة أيّام الخلافة الرّاشدة والخلافة الأمويّة والتي تَتابَعَتْ مَع الخلافة العبّاسيّة والتي وَصَلَتْ إلى أواسط آسيا وبلاد الهند شرقاً، وغرباً في شمال أفريقيّة وأوروبا، أثرٌ كبيرٌ في اتساعِ أُفُق التَّفكير الإسلاميّ عن أحْوالِ هذه البلاد الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة في تَنْشيط التّجارة والصناعة[3].

---

1 عمر عبد السلام تدمري، **لبنان من قيام الدولة العبّاسيّة حتى سقوط الدولة الإخشيديّة 132 – 358 هـ. / 750 – 969 م.**، الطبعة الأولى، جرّوس برس، طرابلس، 1992، ص 145.

2 هارون الرشيد: هو الخليفة الخامس بين ترتيب الخلفاء العبّاسيّين، حكم في العصر العبّاسيّ الأول من سنة 170 هـ. / 786 م .حتى سنة 193 هـ. / 809 م.، لمزيدٍ من التفاصيل راجع السيوطيّ، جلال الدين، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق قاسم الرفاعي ومحمد العثماني، ط1، دار القلم، بيروت 1986، ص ص 325 – 328.

3 حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسيّ والثقافيّ والدينيّ والاجتماعيّ ج2**، ط13، منشورات دار الجيل، بيروت 1991، ص 287.

واللافتُ للنظَر أنَّ هذه الثّروة الجُغرافيّة العظيمة لم تَظْهر ظُهورًا جليًّا إلّا في العصر العبّاسيّ الثاني باستثناء ابن خرداذبة الذي ظهر في العصر العبّاسيّ الأول، ولكنَّ قِسمًا كبيرًا من كُتُب الجغرافيّين اللّاحقين ضاعَت في غَياهِبِ التّاريخ بسبب الجَهْلَ والإهمال، من هنا يُمكنُنا القول إنَّ عِلْمَ المسالك والممالك بَرَزَ في العصرِ العبّاسيّ الأول من عُصورِ الخِلافة العبّاسيّة الأربعة، أي ما يُعرف بِعَصْرِ القُوَّة والازدهار على يد عددٍ من المُصَنِّفِينَ وكُتّابِ الدَّواوين الذينَ كانوا على عِلْمٍ واسعٍ بأحوالِ الممالكِ وصُعوبَةِ مَسالِكِها، فكانوا يَمْلِكُونَ معلومات كافيّةً ووافيّةً عنها. وأوّل من باشر بِكِتابة هذا النَّمَطِ الجُغْرافِيِّ هو ابن خرداذبة في كتابه « المسالك والممالك « فاتحًا لهذا الباب من العِلْم بعدَ أنْ تَوَلّى البريدَ والأخبار في بِلاد الجبل في عهد الخليفة العبّاسيّ المُعتمد على الله أبي العبّاس[1]، وقد جَمَعَ فيه (ابن خرداذبة) مَوارِدَه مِنَ الوثائقِ الرَّسميّة، وهو مَصْدَرٌ هامّ عن صِفة الأرض من الوِجْهَة التّاريخيّة[2]. وقد استعانَ به الجُغرافيّون المُتأخِّرون أمثال ابن الفقيه وابن حوقل والجيهانيّ والمقدسيّ والإصطخريّ وغيرهم.

هذا وقد تَوالى ظُهور كُتُب المسالك والممالك، وقد بَلَغَ ذروته فيما بعد أواخر الخلافة العبّاسيّة، وصولاً إلى السلطنة المَمْلوكيّة على شكلِ موسوعاتٍ كوزموغرافيّة، لعلّ أشهرها وأهمها موسوعة «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري، وهو كاتب سرّ القاهرة ثم دمشق، وبِحُكْمِ عَمَلِهِ، وبالرغم من قِصَرِ عُمُرِهِ فَقَد أجاد التَّرسُّل والنَّظْم وكان ذا عِلم ومَقدرة وخُصوصًا في الجغرافية وكان ناقداً ومُصَنِّفًا، وقد توفّي سنة 750 هـ./ 1349 م.[3]، وُصولًا إلى كِتاب ابن شاهين الظّاهريّ المُتَوَفى سنة 873 هـ./ 1468 م. والذي يَحْمِلُ اسم «زبدة كَشف الممالك وبَيان الطرق المسالك» إلّا أنّه كتابٌ صغير الحجم، قليلُ الفائدة بالقياس على مدى اسمه.

وتَجْدُر الإشارة إلى أنَّ «المسالك والممالك» هو الاسم الذي أعطاه شارل بلّا (خلاصة مجموعة جغرافيّين أساسيّين عرب للعصور الوسطى، بيروت – الجزائر، 1934) ويُعتبر كَنَمُوذَجٍ للأدب الجغرافيّ العربيّ لأنَّ عِدّة كُتُب تَحملُ العنوان نَفسه (المسالك

1 المعتمد على الله أبو العباس: هو الخليفة العبّاسيّ الخامس عشر حكم من سنة 256 – 279 هـ. / 870 – 892 م.، لمزيدٍ من التفاصيل عنه راجع السيوطيّ، **المصدر المذكور**، ص ص 413 – 414.

2 أرندنك كارل فان، مقال « **ابن خرداذبة**» في دائرة المعارف الإسلاميّة، مجلد1، دار المعرفة، بيروت، لا.ت.، ص149 – زيادة، **الرحّالون المسلمون والأوروبيّون**، ص 71.

3 طبعت هذه الموسوعة في أبو ظبي، وهي كاملة تقع في حوالي 26 مجلداً وهي في غاية الأهميّة وحالياً طبعت كاملة في دار الكتب العلميّة، بيروت، زيادة، **الرّحالة الأوروبيّون والمسلمون**، ص 74.

والممالك) وهي تَحتوي على صِفات مُشتركة ليس فقط في أسمائها، فإن أسماء كُتب المسالك والممالك من المُفْتَرَض أنْ يَكون أقْدَمها ابن خرداذبة، وقد تَبِعَهُ في هذا العملِ اليَدَويّ الإصطخريّ وابن حوقل والبكريّ، بينما نلاحظ أنّ روض الأنس أو كتاب المسالك والممالك لم يبرز عند ميكال الذي اعتَبَرَهم جغرافيّين بشريّين، ودَرَسَ الإصطخريّ وابن حوقل، وأضاف إلى لائحة بلّا كتاب المهلبيّ (المسالك والممالك)، وذكر أنّ كلّا من البكريّ والإدريسيّ صاحب كتاب نُزهة المُشتاق لَم يُقدّما شيئًا سِوى تَكمِلة مُعطيات المسالك عن اسبانيا والمغرب[1].

ويُضيف بلّا أنّ هذه النَّجاحات المَلْحوظة بالرغم من أهميّتُها فهي بِنَظرهم أمورٌ تَقليديَّة، وهذه الكُتب(المسالك) هي مُختارات كُوزْموغْرافيّة لَدَيْها جغرافيّون مُتَفَرّعون بطريقةٍ مُباشرةٍ أو غَير مُباشرةٍ عن العِلم اليونانيّ وخُصوصًا مع بطليموس، وفي هذا الصّدّد يُعتبر كِتاب ابن حوقل كاشفا لأنَّه يَعرِضُ الأمور بشكلٍ مميّز.

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ هؤلاء الجُغرافيّين لا يَتَّبِعون تَقْسيم العالم إلى أقاليم، ولكنَّهم يُمَيِّزون مَناطِق كبيرة مُشابهة كثيراً إلى مَمالك وبِداخلها يَصِفون المسالك التي يَتَجاوزونَها والمَواضِع التي وجدوها[2].

ويُعطي أحمد مُقبل تَلْميحًا عن أسماء الكُتب التي تَحْمِلُ الاسمَ النَّوعيّ «المسالك والممالك»، ولكنّه يَقسمُ الأدب الجغرافيّ للقرن الثالث والقرن الرابع هجريّ إلى نَوعين أو فِئتين: تَحملُ الأولى صِفاتِ المدرسة العِراقيّة، كابن خرداذبة، اليعقوبيّ، ابن الفقيه، قدامة بن جعفر، ابن رسته، المسعوديّ، الجيهانيّ. والثانية مدرسة البلخيّ والإصطخريّ وابن حوقل والمقدسيّ.

وبالرّغم من أوجه التّقارب فإنَّنا نرى أنَّ هذا التَّنظيم حَسّاس ومُختلف، ويُجْبِرُنا أنْ نَستعملَ الحِكمة والتَّعقّل أثناء استعمالِنا مُصطلح «المسالك والممالك»[3].

وبناءً على ما تقدّم سنَعرُضُ أسماءَ المُدن والقرى والمواقع اللّبنانيّة كما وَرَدَتْ عندَ الجغرافيّين العرب، عارضِين المَعْلوماتِ داخِل كُلِّ مادّة مُتَدَرِّجَة بِحَسَبِ التّرتيبِ الأبجديّ للقُرى اللّبنانيّة مَوضوع الدِّراسة.

وفي هذا الصدد يَذْكُرُ الدكتور صلاح الدّين المُنَجِّد: «أنّ عِلْمَ المسالك والممالك»

1 Charles, Pellat, , **Art “Al Masalik Wa-L-Mamalik”** Dans EI2, Vol VI, (1991), P 624.
2 Pellat, **Op Cit**, P 625.
3 Ahmad, Moqbul, **Art “ Djughrafiya ”** Dans EI2, Vol II, 1977, P P.594 597.

هو أقربُ ما يكون إلى الجغرافيا الوَصفيّة، لأنَّه لم يَقْتَصِر على ذِكْرِ المراحل والطُرُق والمسالك والممالك، بل تَعَدّاها إلى وَصْفِ المدن والبلدان إدارةً وتأريخًا واقتصادًا بأوصافٍ تَقِلُّ أو تَزيد باختلاف العَصْر والمُؤلّف[1].

وثمّةَ أمْرٌ لا بُدَّ أنْ نُشير إليه وهو أنَّ الهدفَ من هذه الدراسة إماطَةُ اللِّثام عن خَفايا وخَبايا الخريطة السوكّانِيَّة في لبنان خلال العصور العبّاسيّة الأربعة، استنادًا إلى هؤلاء الرحّالة الجغرافيّين الذين كتبوا لِمامًا عن البلدان والذين لم يعيروها الأهميّة الكافية آنذاك. وقد يُخال للبَعْض أنَّ هؤلاء لم يُقَدِّموا أيَّ جديد، بالعكس فهم قدّموا لنا مُعطياتٍ جغرافيّةٍ رُبّما كانت كافيةً في عصرِهم وزَمانِهم، لكنَّها بالمقياسِ على عصرِنا الحاليّ لا تُشفي غَليلَ مُتَعَطِّشٍ لِمعرفة أغوارِ العصور الوسطى وسَبْرِ مَسالكِها وعُقد ممالِكِها الصعبةِ الحل. ومع أنّ أسماء هذه الكُتُب مُشتركةٌ لَدى هؤلاء الرحّالة، فإن أوصافَ المَقاييس والأطوال التي أعطونا إيّاها تَختلفُ بين جُغرافيّ وآخر، وهذا ما يَتَطَلَّبُ صُعوبةً في التَّقميشِ عنها في بُطون المصادر المُتشابكة بأخبارها والمُتَداخلة بِأغوارِها. وهدفُنا هنا تَحْدِيد ما هو مُشترك منها وما هو مُتناقض. مع الإشارة إلى أنّ تَفاوُتَ المعلوماتِ عددًا أو مادّةً بينَ جُغرافيّ وآخر، وإنْ دلّ على شيءٍ فهو يَدُلُّ على مدى صُعوبة التَّحْديد بَينَهُما.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ المقاييس والأطوال التي سَتَرِد في نصوص هذا البحث تَعْتَمِدُ المُصطلحاتِ القديمة كالفَرسخ والمِيل والمَرحلة، وقد فَصّل أبو الفداء هذه المقاييس وقارنَ بَينها في كِتابه المعروف بتقويم البلدان، وسَنَشْرَحُ تحديداتها ومَقاساتِها قبل الانطلاق في البحث، كَي نُزيل أيّ التباسٍ قد يُثار حَوْلَها فيما بعد:

- الفرسخ = 3 أميال

- المِيل = 3 آلاف ذِراعٍ حَسَب القياس القديم و4 آلاف ذراعٍ حَسب القياس الحديث المُعاصر لأبي الفداء.

- البريد: 12 مِيل[2].

1 صلاح الدّين المُنجّد، **مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحّالة المسلمين**، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1967، ص 45.

2 أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن شاهنشاه بن أيّوب، **كتاب تقويم البلدان**، صححه وطبعهُ رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، طبعَ في مدينة باريس، سنة 1840، ص ص15 – 18، ويضيف زيادة في كتابه **الرحّالون المسلمون والأوروبيّون**، ص 75، أنّ المِيل يَقِلُّ عن الكيلومتر قليلاً، ويُضيف أنَّهم كانوا يَستعملونَه للمسافات الطويلة وهي وَحْدة للسير اليوم.

رابعًا: المدن والقرى اللّبنانيّة:

إنّ أسماء المُدُن والقُرى اللّبنانيّة وَرَدَت مُبعثرة ومُتشابكة وبأسماء مُحرّفة ومَغلوطة في بُطون المصادر أحيانًا، لذلك قَرَّرْتُ أنْ أعرضَ أسماءها عند الجُغرافيّين العرب موضوع الدّراسة، على أنْ أضعَ المعلومات داخلَ كُلِّ مادّة بحسبِ الترتيب الأبجديّ لها، مع إعطاء بَعض الشُروحات والتَّعْريفات والإضافات في الهَوامش التي تستلزمها الضرورات الجغرافيّة.

1–إقليم لبنان: يَذكرُه ابن خرداذبة أثناء تعدادِه أقاليمَ حمص بقوله: «فأمّا أقاليمُها فهي إقليم حماة وإقليم شَيْزَر»، قال امرؤ القيس: «تقطع خلّان الصَبابة والصبي عشيّة جاوزنا حماة وشَيْزَرا».

وكذلك إقليم أفامية وإقليم معرّة النعمان، وإقليم حوران وإقليم لطمين وإقليم تلّ منسى وإقليم الغلاس، وإقليم كفر طاب وإقليم جوسيّة وإقليم لبنان وإقليم الشعير وغيرها...[1]

2–أنفه: وَرَدَ اسمُ هذه المدينة الساحليّة على خريطةِ «صورة الشأم» عِند ابن حوقل[2]. وهي تَقَعُ على ساحلِ

بحرِ الروم الذي يَمتدّ في حَدّ أطرابلس وأنفه ونَواحي عسقلان[3]. وقد وَرَدَ اسمها Anafa عند دوسّو[4].

3–إيعات: بلدةٌ في البقاع ومِنها إلى بعلبك ثلاثة أميال[5].

4–البترون: ورد هذا الاسم على خريطة «صورة الشأم» عِند ابن حوقل[6]، ويذكر فريحه

---

1 ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، **المسالك والممالك**، طبع في مطبعة بريل، ليدن، 1889، ص ص 75 -77.

2 ابن حوقل، أبو القاسم النصيبيّ، **صورة الأرض** ، ج1، تحقيق كرامرز، ليدن، 1938، ص ص 165 – 167.

3 ابن حوقل، **صورة الأرض** ، ص188 – ويُضيف البغدادي، صفيّ الدّين بن عبد الحق في كتابه **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق علي البجّاويّ، مج1، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992، ص 6: بأنها بُليدة على ساحل بَحر الشّام شرقيّ جبيل وهي على ما يَذكر حسن نعمة في كتابه **موسوعة المدن والقرى اللّبنانيّة**، ط1، دار عون، 1996، ص 109، بأنّ أنفا قضاء الكُورة، بلدةٌ قديمة ورد اسمها في رسائلِ تلّ العمارنة وفي النقوش الآشوريّة والعبريّة والصليبيّة.

4 René, Dussaud, **Topographie Historique De La Syrie Antique Médiévale**, Edition Geu-thner, Paris, 1927, P 39.

5 ابن خرداذبة، **المسالك والممالك** ، ص219. ومعنى اسم إيعات النَبْت والخَصب والحشائش أو الشُرفة والبُرج، أو بناء إلى جانب قصرٍ أو قلعة مُراقبة. راجع أنيس فريحة، **مُعجم أسماء المدن والقرى اللبنانيّة**، ط3، مكتبة لبنان، 1992، ص 8.

6 ابن حوقل، **المصدر المذكور**، ص ص 165 – 167 – البكريّ، أبي عبد الله بن محمد، **المسالك والممالك**، حقّقه جمال طلبة، مج 2، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2003، ص 36؛ أما البغداديّ في **مراصد الإطلاع**، مج 1، ص 163 فيعرّفها بأنّها حصنٌ بين جبيل وأنفه على ساحلِ بحرِ الشام.



أنّ الأصح أن تكتب بالطاء بطرون، أمّا الصليبيّون فكانوا يسمّونها Le Boutron .[1]

5-بعلبك: يَذْكُرُ ابن خرداذبة مدينة بعلبك ضِمنَ كُورة دمشق وأقاليمها[2]. ويُضيفُ أنّ الطريقَ من حِمص إلى دمشق على بعلبك هو طَريق البَريد، ومن حِمص إلى جُوسيّة أربع سكك، ثُمّ إلى بعلبك سِتُ سِكَك، ثُمّ في دمشق تِسعُ سِكَك. ومن المحمّديّة إلى بعلبك خَمسُ سكك، ويُضيف اسم بعلبك في فَصلِ عجائب البُنيان[3]. ومن بعلبك يُسرة على جبل يسمّى رمى خمسون ميلًا، ومَن أخذ من بعلبك إلى طبريّة الدراج. فمن بعلبك إلى عين الجرّ عشرون ميلًا[4]. وفي هذا الطريق جبّ يُوسُف عليه السلام[5]، كما يَذكُر اسم بعلبك أثناءَ حديثِه عن الطريق الآخذ على كِتاف نواحي المَغرِب انطلاقًا من بغداد وُصُولًا إلى دمشق[6]، بينما نلاحظ أنّ الإصطخريّ يَذكُرُ أنّ أذرعات وحوران والبثنية والغوطة ونواحي بعلبك هي مِن عَمَلِ دمشق[7]. لِيَعودَ ويَذكُر أنّها من جُند دمشق. وهي مدينةٌ على جبل، عامّةُ أبنِيَتها من حِجارة، وقد بُنِيَت على أساطين شاهقة، ليس بأرض الشام أبنية حجارة ولا أعجب منها[8]. ويُضيفُ في مَوْضِعٍ آخر أنّ المسافة بين بعلبك ودمشق يومان[9].

وليس مِن غريب المُصادفة أنّ ابن حوقل يُكَرّر حرفيًّا ما ذَكَره سَلَفُه الإصطخريّ، لكنّه يُضيف أنّه ليس بأرض الشام أكبر منها، وهي مدينة كثيرةُ الخَيرات والغَلّات والفواكه الجيّدة، بيّنة الخصب، وهي قريبةٌ من مدينة بيروت التي على ساحلِ بَحرِ الروم، وهي فَرضتها وساحلها وبها يُرابطُ أهلُ دمشق وسائرُ جُندِها، وينفرون إليهم عند استنفارِهم ولَيْسوا كأهلِ دِمشق في جِساء الأخلاق (صلابة) وغِلَظِ الطِّباع، وفيهم من دُعيَ إلى الخير أجابَ وأصغى إذْ أيْقَظَهُ الدّاعي وأنابَ...[10]. كما أنّنا نُلاحظُ عند ابن حوقل أنّه

1 فريحة، **المرجع المذكور**، ص11، ويضيف أنّ معنى اسمها مكان الرئيس ومحلّة المقدّم، وعليه يكون الإسم فينيقيًّا من جذر «بتر».

2 ابن خرداذبة، **المصدر المذكور**، ص ص 98 – 117.

3 ابن خرداذبة، **المصدر نفسه**، ص ص 139 – 228.

4 ابن خرداذبة، **المصدر نفسه**، ص 219، جوزف أبو نجم، **المدن والقرى اللّبنانيّة من خلال بعض الجغرافيّين العرب بين القرنين العاشر والرابع عشر**، مجلة المشرق، السنة 69، 1995، ص ص 159 – 162.

5 ابن خرداذبة، **المصدر نفسه**، ص 228.

6 ابن خرداذبة، **المصدر نفسه**، ص 228.

7 الإصطخريّ المعروف بالكرخيّ، أبي اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسيّ، **مسالك الممالك**، طبعة مطبعة بريل، ليدن، 1927، ص 13.

8 الإصطخريّ، **مسالك الممالك**، ص 61

9 الإصطخريّ، **المصدر نفسه**، ص 61 – ابن حوقل، **المسالك والممالك (صورة الأرض)**، ص 75.

10 ابن حوقل، **المصدر نفسه**، ص 175.

كَتَب على الخريطة «صورة الشأم» عِند القسم الأوسط مِنَ الجبل جَبَل بهرا وهنا مدينة حمص. وبين حمص ودمشق طريق عليه من المدن: جوسيه، اللّبوة، بعلبك، الزّبداني. بينما نُلاحظُ أنّ المهلّبيّ يُعطينا صُورة مُغايرة عمّا وَرَد، فهو يُعرّفها[1] بأنّها مدينة جَليلة قديمة بِها مَذبحٌ تقول الصّابيّة (الصابئة) إنّه بَيتٌ من بُيوتِهم عَظيم جدًا عِندهم، ومن بعلبك إلى الزبدانيّ[2] ثمانية عشر ميلًا[3]. وفي هذا الصدد يُضيف البكريّ أنّ سُليمان حَبَسَ الريح فيه، وأنّهُ كان يَتَغذّى ببعلبك من أرض الشام[4]. وبالتالي فهي تَقع ضِمن كُوَر الشام[5]. بينما يَذكُر الرحّالة الفرنسيّ بلّون مَعلوماتٍ قديمةً عنها بأنّه انتشرَتْ فيها عِبادة الآلهة وقد بَنى سُكّانها المعبدَ الذي يمثّلُ في يومنا هذا أضخمَ تجمّعٍ للصُروح الأثريّة مِن العهد الرُّومانيّ ويَتَحَدّثُ عن رَوعة أطلالِ بعلبك، وهو أوّل من زارها مُضيفًا أنّ لها قَلعةً يَصْعُبُ الوُصول إليها وذلك سنة 1548 م.[6].

6-البقاع: ذَكَرَهُ ابن خرداذبة أثناء تِعداده كُورة دمشق وأقاليمها[7]، وأنّ دمشق تَقَعُ على طَريقِ البقاع[8]. بَينما يَذْكُرُ دوسّو مَوقع وادي البقاع بينَ جِبال لبنان الغربيّة وجِبال لبنان الشرقيّة[9].

7-بيروت: ذَكَرَها ابن خرداذبة عند تِعدادِه كُورة دمشق وأقاليمها[10]، وقد حَدّد موقعها على الطريق المؤدّية من الجزيرة إلى الساحل[11]. أما الإصطخريّ فقد وصف بيروت

---

1 ابن حوقل، **صورة الأرض** ، ص 166.

2 الزبدانيّ: بفتح أوّلها وثانيها ودال مهملةٌ وبعد الألف نون ثمّ ياء مشدّدة للنسبة، كور مشهورة بين دمشق وبعلبك منها مخرج نهر دمشق، راجع البغداديّ، **مراصد الإطلاع**، ج2، ص657.

3 المهلّبيّ، الحسن بن أحمد، **الكتاب العزيزي المسالك والممالك**، جمعهُ وعلّقَ عليه تيسير خلف، ط1، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2006، ص 68 – Dussaud, **Topographie Historique**, P397.

4 البكريّ، **المسالك والممالك**، مج 1، ص –128 وقد ورد اسمها عند دوسّو « هليوبوليس «.Dussaud, **Op Cit**, P 396 .

5 البكريّ، **المصدر نفسه**، مج 1، ص 64.

6 Pierre Belon, **Les Observations Des Plusieurs Singularités Et Choses Mémorables Trouvées en Grèce, Asie, Judée, Egypte, Arabie**. Paris, 1879, P 153. ابن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، حققه إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 109.

7 ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص77.

8 ابن خرداذبة، **المصدر نفسه**، ص 219 – والبقاع: جمعها بقعة، موضع يقال له بقاع كلب قريب من دمشق، وفيها قرى كثيرة ومياه غزيرة نميرة، وأكثر شرب هذه الضياع يخرج من جبل يقال لهذه العين عين الجر، وبها قبر الياس عليه السلام – راجع البغدادي، **مراصد الإطلاع**، ج 1، ص 211.

9 Dussaud, **op cit**, P 396.

10ابن خرداذبة، **المصدر المذكور**، ص 77.

11 ابن خرداذبة، **المصدر نفسه**، ص 98.



بأنّها مدينةٌ على شَطِّ بحر الروم، خَصبة من عَمَل دمشق، وبِها كان مَقام الأوزاعيّ[1]، وفيما بَعد ذَكَرَ أنّ المسافة من بيروت إلى دمشق يَومان[2].

أمّا ابن حوقل؛ فقد أوردَ اسمها على خريطةِ «صورة الشأم»[3]. ويُضيف في مَوضعٍ آخر هي على ساحل بحر الروم وهي فَرضتها وساحلها وبها يُرابط أهل دمشق وسائِر جندها. وبيروت هذه كانت مقام الأوزاعي وبها منَ النخيل وقصب السُّكّر والغَلّات المُتوافرة، وتِجارات البحر عليها واردةٌ وصادرة، وهي مع حصنِها حصينةً منيعةَ السُّور، جيّدةَ الأهل مع مِنعةٍ فيهم مِن عدوِّهم وصلاح في عامّة أُمورهم[4]. ويُتابع في مَوضِعٍ آخر أنّ المسافة من دمشق إلى بيروت على بحر الروم مَسيرة يومان غربًا، ومن بيروت إلى صيدا يَومان[5].

لكنّ المُهلّبيّ يُعطينا وَصفًا مُخالفًا لأسلافه، فهوَ يحدِّدُ أنّ المسافةَ بين بيروت ومدينة بعلبك على عقبةِ المُغيثة سِتة وثلاثون ميلًا، وبَيْنها وبَيْن مدينة عَرجَموس على أربعةٍ وعشرين ميلًا عن مدينة بيروت، وهي مدينةٌ جليلة، شَرِبَ أهلُها من قناة تَجُرُّ إليها، ولها ميناء جليل، وبَيْنَها وبَيْن مدينة جبيل ثمانية عشر ميلاً[6].

بَيْنَما نُلاحظُ أنّ البكريّ يَذكُرُها ضِمن كُور دمشق، ويُضيف أنَّها قريةُ الأوزاعي[7]. ويُتابع في مكانٍ آخر أنّها مَكانٌ أو مقرّ لسلوكِ السُّفن أثناءَ انتقالِها من الإسكندريّة إلى انطاكيا[8] وهي تابعةٌ للجزيرةِ العربيّة لأنّها من ساحل دمشق[9].

ويُضيف دوسّو أنّه لَطالما نُوقِش أَصلُ كَلِمة بيروت (Bairout (Beyrouth، والأرجحُ أنّها جاءَت من العبريّة بئروت Bé erot وهي جمعٌ لكلمةِ بئر Bé er (الآبار)[10]، وقد وَرَدَ اسمُها في ألواحِ العمارِنة تحتَ اسم بيروتا Beruta، وقد انتَشَرَت فيها في العَصر الرومانيّ الصروحَ الكبيرةَ التي تَظْهَرُ على رُسوم نُقُودها[11].

---

1 الإصطخري، **مسالك الممالك** ، ص65.
2 الإصطخري، **المصدر نفسه**، ص67.
3 ابن حوقل، **المسالك والممالك**، ص 165.
4 ابن حوقل، **المصدر نفسه**، ص 175.
5 ابن حوقل، **المصدر نفسه**، ص 186.
6 المهلّبي، **المسالك والممالك**، ص 83.
7 البكري، **المسالك والممالك**، مج 2، ص 36.
8 البكري، **المصدر نفسه**، مج 2، ص 272.
9 البكري، **المصدر نفسه**، مج 2، ص 96.
10 Dussaud, **Topographie Historique**, P 58.
11 Rouvier, **Numismatique Des Villes De La Phénicie**, Paris, 1915, P 71.

8-جبل لبنان أو جبل اللكام: من عجائبِ طبائعِ البُلدان، من عَجائِبِ الجبال ما ذَكَرَه ابن خرداذبة أنَّ جَبلَ العَرج الذي بَيْنَ مكّة والمدينة يَمْضي إلى الشّام حتى يَتّصِل بلبنان من حمص وسَنير من دمشق، ثمّ يَمضي فيَتّصِل بأنطاكيا وجبال المصّيصة ويُسمّى هناك جبل اللّكام ويَتَّصِلُ بجبال ملطيّة[1] وشمشاط[2] وقاليقلا[3] إلى بَحر الخَزَر وفيه الباب والأبواب ويُسمّى هناك القبق[4].

ويُضيف في مَوضعٍ آخر أنّه من جبلِ لبنان كان مُبتدأ سفينة نوح، وقد استوَت على الجُوديّ جبل قردى[5]، ولمّا كَثُر وَلَدُ نوح نَزَلوا إلى بابل السواد في ملك نمرود بن كوش، وهو أوّل ملكٍ كان في الأرض[6].

وجَبل اللّكام هو الفاصِل بَيْنَ ثُغور الشّام وثُغور الجزيرة، وهو داخل في بَلَد الروم، ويُقال إنَّه يَنتهي في بَلد الروم إلى نَحوٍ من مائتيّ فرسخ، ويظهر في بلد الإسلام بين مَرْعَش والهارونيّة وعَين زربة فيُسمّى اللّكام إلى أن يتجاوزَ اللاذقيّة، ثمّ يُسمّى جَبل بهراء وتَنوخ إلى حمص، ثمّ يُسمّى جبل لبنان، ثمّ يَمتَدّ إلى الشام حتّى ينتهي إلى بحر القلزم[7].

أمّا ابن حوقل فإنّه يذكر اسمه على خريطة «صورة الشأم» فيما يسامت بانياس جبل لبنان وتُقابلهُ في البرّ مدينة دمشق، وبين دمشق وزعز من المدن البلقاء[8].

ويذكر ياقوت الحمويّ أنّ فيه سبعين لسانًا، لا يعرف كلّ قوم لسان الآخرين، إلّا بترجمان، وفيه جميع الفواكه والزّرع من دون أن يزرعها أحد، وفيه الأبدال والصّالحون.[9] ويذكر أبو الفداء كثرة الثلج فيه.[10]

9-جبل الثلج: مطلٌّ على بانياس والثلج على رأسِهِ كالعَمامة لا يُعْدَمُ مِنه صَيفاً ولا

1 **ملطيّة:** مدينة من بناء الإسكندر، وهي من بلاد الروم، مشهورة تتاخم الشام، راجع البغدادي، **مراصد الإطّلاع**، مج 3، ص 1308.

2 **شمشاط:** مدينة بالروم على شاطئ الفرات، وهي من أعمال خرت برت، وهي غير سمياط من أعمال الشام، راجع البغدادي، **المصدر نفسه**، مج 2، ص 811.

3 **قاليقلا:** بأرمينية العظمى من نواحي خلاط، ثمّ من نواحي منازجرد، من نواحي أرمينيا الرابعة، راجع البغدادي، **المصدر نفسه**، مج 3، ص 1059.

4 ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص172.

5 **قردى وبازبدى:** قريتان من جبل الجودي بالجزيرة، بقرب قرية ثمانين التي رست سفينة نوح عندها، راجع البغدادي، **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، مج 3، ص 1077.

6 ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص 76.

7 الإصطخريّ، **مسالك الممالك**، ص 168.

8 ابن حوقل، **المسالك والممالك**، ص 168.

9 ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5، ص 12، أبو نجم، **المدن والقرى اللّبنانيّة**، ص 191.

10 أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص229، أبو نجم، **المرجع المذكور**، ص191.

شتاءً وفي رأسِ الجبل ضَيْعَةٌ تُعرف بِصردا[1].

10–جبيل: وَرَدَ اسمها عِند ابن خرداذبة عِند تِعدادِه كُورة دمشق وأقاليمها[2]، كما يُضيف في مَوضِعٍ آخر أثناء تِعدادِه ثُغور الإسلام والأمم والجِبال المُحيطة بِها بأنّ جُبيل هي من الثّغور البَحريّة[3]، وهي مثلثة تطلّ زاوية منها على البحر. ويحيطها سور حصين شاهق الارتفاع وحولها النخيل وغيره من أشجار المناطق الحارّة.[4]

بينما لا نَجِدُ لها ذِكراً عند الإصطخري، فيما ابن حوقل ذَكَرَ اسمها على خريطة «صورة الشأم»[5]. أمّا المُهلَّبيّ فأَهمّ ما يَذْكُره عنها أنّ لها ميناءٌ وسوقٌ وجامعٌ[6]، ويُسمّيها دوسّو بيبلوس، وهي أَقدَمُ مَرْكَز تِجاريّ على الساحِلِ السوريّ[7].

11– جونيه: ذكر اسمها عند ابن خرداذبة أثناء تعداده كورة دمشق وأقاليمها[8]، وقد ورد اسمها جوني عند غِيّوم الصُوريّ، وهي طبعًا Jouni كما يُسمّيها دوسّو[9].

12–الجيّة: وَرَدَ اسمها عند ابن خرداذبة على خريطة «صورة الشأم» عند تِعدادِه كورة دمشق وأقاليمها[10]، ويُضيف لامنس رُبَّما هي بورفيرون Porphyreon القديمة[11].

13–الصرفند: وَرَدَ اسمها على خريطة «صورة الشأم» لَدى ابن حوقل عِند تِعداده كُوَر الشّام وأقاليمها، تحت اسم صرفنده، وبالتّالي فهو حِصنٌ من ضِمن الثّغور

---

1 المُهلّبيّ، **المسالك والممالك**، ص67. والجدير بالذكر أنّه توجد قريةٌ مهجورة الآن في مُثَلَّثِ الحدود السورية–اللّبنانيّة–الفلسطينية اسمها صردا وقريبةٌ من الموضع الذي يحدّده المُهلّبيّ ولكنّها ليست على رأسِ الجبل. راجع المُهلّبيّ، **المصدر نفسه**، ص67 ، الحاشية رقم 104.

2 ابن خرداذبة، **المصدر المذكور**، ص77.

3 ابن خرداذبة، **المصدر نفسه**، ص255. وجبيل كما عرّفها البغدادي في **مراصد الإطلاع**، مج1، ص 314، بأنّها بلد من سواحل دمشق مشهورة في شرقي بيروت على ثمانية فراسخ منها.

4 ناصر خسرو، **سفر نامه**، نقله إلى العربية د. يحيى الخشّاب، الطبعة الثالثة، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1992، ص 49.

5 ابن حوقل، **المصدر المذكور**، ص 165، أبو نجم، **المرجع المذكور**، ص 169.

6 المُهلّبيّ، **المصدر المذكور**، ص 83.

7 Dussaud, **Topographie Historique**, P 71 – Ernest Renan, **Mission De Phénicie**, Vol 1, Paris, 1874, P 199.

8 ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص 74 – 75، وقد عرّفها البغداديّ في **مراصد الإطلاع**، مج1، ص 361، بأنّها من أعمال طرابلس وعلى ساحل دمشق.

9 Dussaud, **TOPOGRAPHIE HISTORIQUE**, P 73.

10 ابن خرداذبة، **المصدر المذكور**، ص، 77، وهي تقع اليوم في قضاء الشّوف ومعنى الاسم المُبهِج واللّطيف، وفي الآراميّة الأَنَفَة والغَطْرَسَة، وهي بلدةٌ ساحليّة، راجع نعمة، **موسوعة المدن والقرى اللّبنانيّة**، ص ص 230 – 497.

11 Henri Lamens, **La Syrie**, Vol 2, P37 .

البَحريّة الواقعة ضِمن ثُغور الإسلام[1].

14-صور: ذَكَرَها ابن خرداذْبة عِند تِعدادِه لكورة الأردن[2]، كما ذَكَرَها أثناء حديثِه عن كُورة فلسطين[3]، وأيضًا أثناء ذِكره ثُغور الإسلام والأمم والجِبال المُحيطة بِها إنَّها تُعَدّ من الثّغور البَحريّة وهي مَشهورةٌ بِصناعة المَراكب[4]، كَما أنّها تَقَع على طَريق سِكك المَغرب، وإنّها تَبْعُدُ عن قِنّسْرين عَشرَ سِكك، ومِنها إلى حماه سِكّتان[5]، ومِنها إلى طَبَريّة على البحر غربًا يومًا[6].

كما وَرَدَ اسمها عِند ابن حوقل على خريطة «صورة الشأم»[7]، ويُعْطينا بَعضَ التفاصيل عَنها بأنّها مِن أحصنِ الحُصون التي على شطّ البحر عامرة خصبة، ويُقال إنّها أقْدَمُ بَلَد بالسّاحِل، وإنَّ عامّة حُكماء اليُونان مِنها[8].

بَينما نُلاحظُ أنَّ المُهلّبيّ يُحدّد لنا المسافات فهي تَبعدُ عن عكّا اثني عَشَرَ مِيلاً، وبين عكّا وطبريّة أربعة وعشرون مِيلاً[9].

فيما نَجِدُ أنَّ البكريّ أثناء حَديثه عن بحر الروم يَذكرُ أنَّ صور تَقَعُ على سَواحل الشّام مِثْلَها مِثْل مصر والإسكندريّة[10]، وكذلك عِند تَطَرُّقِهِ إلى الجزيرة العربيّة وسَمَّتْها العربيّة لإحاطَةِ البِحار والأنهار بِها من أقطارها ومن ضِمْنِ سواحِلِ صور وساحل الأردن[11]. ويُضيفُ دوسّو أنَّ صور ضَيْعَةٌ فقيرةٌ تُحيطُ بميناءٍ شِبْهِ مَدْفونٍ بالرّمال، وأنَّ اسم صور Sour ساميّ معناه «الصخور» وهو اسمٌ على مُسمّى وأكثرُها يَظْهَر في

---

1 ابن حوقل، **المسالك والممالك**، ص ص 165 – 167. وعرّفها البغداديّ بأنّها قريةٌ من قُرى صور بِساحل الشّام، راجع **مراصد الإطلاع** ، مج 2، ص 838، ويضيف فريحه في كتابه **معجم أسماء المدن والقرى اللّبنانيّة**، ص 103، أنّ معنى اسمها مكان صهر المعادن وتنقيتها.

2 ابن خرداذبة، **المسالك والممالك** ، ص 75.

3 ابن خرداذبة، **المصدر نفسه**، ص 79.

4 ابن خرداذبة، **المصدر نفسه**، ص 255.

5 ابن خرداذبة، **المصدر نفسه**، ص 117. وهي بلدة بساحل بحر الشّام. راجع كتاب الإسكندريّ، أبي الفتح نصر بن إسماعيل، **كتاب الأمكنة والمياه والجبال ونحوها**، تحقيق حسن النابودة، دار الكتب العلميّة، ط1، بيروت، 2005، ص273 .

6 الإصطخري، **مسالك الممالك**، ص 66.

7 ابن حوقل، **المصدر المذكور**، ص ص 165 – 167.

8 ابن حوقل، **المصدر نفسه**، ص 174.

9 المُهلّبيّ، **المسالك والممالك**، ص 101.

10 البكريّ، **المسالك والممالك**، ص 150.

11 البكريّ، **المصدر نفسه**، ص 96. بينما يذكر البغداديّ في **مراصد الإطلاع**، مج 2، ص 865، بأنّها مدينةٌ مشهورة عَظيمة القَدر، كانت من ثُغور المسلمين مُشرفةً على بحر الشّام، داخلةً في البحر الذي يُحيطها من جميع جوانبها إلا الربع الذي مِنه شُروع بابها حصينة جداً، لا سبيل إليها إلا بالجدّ، تبعدُ عن عكّة سِتة فَراسِخ.

ألواح العَمارنة[1]. وقَد أَفرَدَ لها فليمينغ كِتابًا مُفصَّلًا عن جَمالِها وتاريخِها وأهمِّيَتِها كَمَدينةٍ بَحْريّة[2]، وكَذلك دينيز دي لاسر في كِتابه «مُهمّة أثريّة في صور»[3]، ويضيف ناصر خسرو أنّ أسواقَها جميلة كثيرة الخيرات ومعظم سكّانها من الشيعة، وهي مشيّدة على مُرتفع وتأتيها المياه من الجبل.[4]

15-صيدا: وَرَدَ ذِكرُها عِند ابن خرداذبة أثناء تِعدادِه كُورة دمشق وأقاليمها[5]، ومَرّة ثانية أثناء كُورة فلسطين[6]، ومَرّة ثالثة نَجِدُ اسمَها على الطريقِ المُمْتَدّ مِنَ الجزيرة إلى الساحل، هذا الطريقُ الذي يَمُرُّ من الرَّقّة إلى دوسر.... وُصولًا إلى طرابلس الشّاميّة، ثُمّ إلى صيدا ثُمّ إلى صور، ثُمّ إلى قيسارية، وُصولًا إلى عَسقلان فَغَزّة[7]، ويُضيفُ أيضًا أنَّها تابعةٌ للثُغورِ البَحْريّة التي كانت مِن ضِمْنِ ثُغورِ الإسلامِ والأممِ والجبال[8].

ويذكر ناصر خسرو أنّها تقع على شاطئ البحر وبها قلعة جميلة محكمة ولها ثلاث بوابات وفيها سوق جميل وحدائق وأشجار منسّقة وأغلبها أشجار مثمرة.[9]

ويضيف الحميريّ أنّ بينها وبين بيروت يومين، وهي على ساحل البحر، وعليها سور حجارة، وتنسب إلى إمرأة في الجاهليّة، وهي مُتصلة بجبل لبنان.[10]

بينما نُلاحظْ أنَّ ابن حوقل يَذْكُرُ اسمها على «صورة الشأم»[11]، لكنَّ المُهلّبيّ يَنْفَرِدُ بِمعلوماتٍ مَفادُها أنَّ ثمة مِن مدينة صيدا إلى مدينة مَشْغَرا واديا في نهايةِ الحُسْنِ بالأنهارِ والأشجار، والمَسافةُ بَيْنَها وبَيْن دمشق سِتّة وستون مِيلاً[12].

لكِنْ للبكريّ رأيٌ آخر، فَهو يَذْكُرُ أَنَّها تَقَع على طريقِ سُلوكِ السُّفُن مِنَ الإسكندريّة

---

1 Dussaud, **Topographie Historique**, P 38.

2 Fleming, W.B., **The History of Tyre**, New York, 1915.

3 Denyse Le Lasseur, **Mission Archéologique à Tyr dans Journal**, Syria, 1921.

4 ناصر خسرو، **سفر نامه**، ص 50.

5 ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص 77.

6 ابن خرداذبة، **المصدر نفسه**، ص 89.

7 ابن خرداذبة، **المسالك والممالك** ، ص 98. وقد أضاف الإسكندريّ في كتابه **الأمكنة والمياه والجبال ونحوها** بأنّ اسمها «إربل» وهي على ساحل الشّام فيما نُلاحظُ أنّ البغداديّ يُسمّيها (صيداء) وهي مدينةٌ على ساحلِ بحر الشّام من أعمال دمشق بينها سِتّة فَراسِخ، راجع **مراصد الإطلاع** ، مج 2، ص 859.

8 ابن خرداذبة، **المصدر المذكور**، ص 255.

9 ناصر خسرو، **سفر نامه** ، ص 49، أبو نجم، **المدن والقرى اللّبنانيّة**، ص 157.

10 الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص 373.

11 ابن حوقل، **المسالك والممالك**، ص ص 165 - 167.

12 المُهلّبيّ، **المسالك والممالك**، ص 95.

إلى إنطاكيا[1]. ويُضيفُ دوسّو أنَّه عَثَرَ فيها على عِدّة تَوابيتَ تَعود إلى مَلِكِ صيدون أشمونعزر في القرن الخامس قبل الميلاد، وتابوت أبيه وغيرِها مِنَ التّوابيت[2]، إضافةً إلى ما قامَ بِهِ كونتنو مِنْ عِدَّة تَنْقيبات مَعْ عِدَّة بِعْثات[3].

16-طرابلس: تذكر في جميع المصادر تحت اسم أطرابلس، وقد ذكر ابن خرداذبة كورة طرابلس أثناء تعداده كورة دمشق وأقاليمها[4]، ويتابع ابن خرداذبة بأنّها تقع على الطريق المؤدي من الجزيرة إلى الساحل ويسميها أطرابلس الشام[5]، وهي تقع على سكك طريق المغرب، وكذلك تقع على الثغور البحريّة التابعة لثغور الإسلام[6].

حدّد ابن خرداذبة المسافة بَيْنَها وبَين دمشق على بحر الروم يومين غَربًا[7]، وقد وَصَفَها الإصطخري بأنَّها مدينةٌ تَقع على بحرِ الروم (المتوسّط) وهي ذاتَ نخلٍ وقصبٍ وسُكّرٍ وخَصْب[8].

كما ورد اسمها عند ابن حوقل على خريطة «صورة الشأم»[9]، وفي مكانٍ آخرٍ من الكِتاب يُحدّدُ ساحلَ بحر الروم من حدِّ أطرابلس وأنفه إلى نواحي يافا وعسقلان[10].

بَينما يَذكرُ المُهلّبيّ في تَحديدِه المسافات أنَّ بين طرابلس وبعلبك أربعة وخمسين مِيلًا، وبين طرابلس ودمشق تِسعين مِيلاً، ومِنها إلى انطرطوس[11] ثلاثون مِيلًا[12].

بينما نُلاحظُ أنّ البكريّ يَستفيضُ في الحديث عنها، فهو يحدِّد موقِعَها على ساحلِ البحر الروميّ في السدّ قُربَ اللّاذقيّة وعَرقة وسائر ما يَتْلو هذه البلاد[13]. وكَذلكَ في أثناءِ

1 البكريّ، **المسالك والممالك**، ص 272.

2 Dussaud, **Op Cit**, P 37.

3 Georges Contenau, **Missions archéologiques à Sidon, dans journal Syrie**, Paris, 1920, PP 76- 108 - 198 - 287 -
Eiselen, Fr.C., **Sidon, A Study in Oriental History**, New York, 1907.

4 ابن خرداذبة، **المصدر المذكور**، ص77 - وهي حسبما يَذكر البغداديّ في **مراصد الإطّلاع**، مج 2، ص 882، أنّها بالشّام على شاطئ البحر على صور من صخر مَنيع البُنْيان.

5 ابن خرداذبة، **المصدر المذكور** ، ص 77.

6 ابن خرداذبة، **المصدر نفسه**، ص 117.

7 ابن خرداذبة، **المصدر نفسه**، ص 255، الحميري، **الروض المعطار**، ص 390.

8 الإصطخريّ، **مسالك الممالك**، ص ص 66 - 67.

9 ابن حوقل، **المسالك والممالك**، ص ص 165 - 167.

10 ابن حوقل، **المصدر نفسه**، ص 188.

11هي طرطوس الحاليّة، وهي بلدةٌ بالشّام مُشرفةٌ على البحر قُرب المرقب وعكا. راجع ياقوت الحمويّ، أبو عُبيد الله الروميّ، **معجم البلدان**، تحقيق فريد الجنديّ، ج4، دار الكتب العلميّة، ط1، بيروت، 1990، ص ص33 - 34.

12 المهلّبيّ، **المسالك والممالك**، ص 96.

13 البكريّ، **المسالك والممالك**، مج 1، ص 133.

حديثِه عن جُملةٍ جَمَعَها مِن كُتُب فلاسفة اليونان في الأقاليمِ السبعة وفي تطرّقِه إلى الإقليمِ الرابع يَذْكُر ما يلي: وَسَطُهُ حَيْثُ يَكونُ النَّهار الأطولُ أربع عشرَة ساعة ونِصفا إلى حيثُ يَكونُ النّهار الأطول أربع عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة، وارتفاع القُطْب سبعة وثلاثون جِزْءا، وذلك مسافة ثلاثمائة مِيل، ويَبْتَدِئُ مِنَ المشرق فَيَمُرُّ بِبِلاد التِبِت إلى خُراسان، ويَمُرّ على شمال الشّام، وفيه مِنَ المُدن هُناك بالس ومَنْبِج ومَلطيّة وزبطره وحلب وقَنّسرين وأنطاكية وطرابلس الشّام والمَصّيصة والكنيسة السوداء واذنه وطرسوس وعمّورية واللاذقيّة ، ويَمُرُّ على بحرِ الشّام على جزيرتي قبرص و رودوس، ثمّ يَمُرُّ في أراضي المَغرب على بِلاد طَنجة ويَنتهي إلى بَحر المَغرب[1].

ويُحدّد لنا في مَوضِع آخرَ أنَّ الأوائل قَسّمت الشّام إلى خمسة أقسام، الشّام الثالثة تَضُمّ الغوطة ومدينتها العُظمى دمشق ومِنْ سواحلها أطرابلس[2]. وهي مِنْ مُدن دمشق[3]، وبالتالي فهي تَقَعُ على طريقِ سُلوكِ السُّفن مِنَ الإسكندريّة إلى أنطاكيا التي تَخرُجُ من الإسكندريّة..إلى عسقلان ثمّ إلى ساحل بيت المَقدِس ثُمَّ إلى صيدا ثُمَّ إلى بيروت ثُمَّ إلى أطرابلس الشّام ثُمَّ إلى اللاذقيّة ثُمَّ إلى إنطاكية ثُمَّ إلى أنطالية ومنها تَدْخُلُ إلى الجزائر المؤلّفة.[4]

يذكر الرّحالة ناصر خسرو أنّ المزارع والبساتين كانت تنتشر حول المدينة وأشجار النارنج والترنج والموز واللّيمون والتمر، ويقال إنّ بها عشرين ألف رجل وهي تابعة لسلطان مصر، وسكّانها كلّهم شيعة، وقد شيّد الشيعة مساجد جميلة في كل البلاد، ولا يوجد خارج طرابلس بيوت أبدًا عدا مشهدين أو ثلاثة.[5]

بَينما يَذْكُر ماسبيرو بِأنّنا نَجْهَلُ اسم المدينة الفِينِيقِيّ، ولكنّنا نَتَعرّفُ على «المُدن الثلاث» أو الأحياء الثلاثة[6].

فيما يُشيرُ كاترمير إلى أنَّ المسلمين أسّسوا مدينة طرابلس الحاليّة المَعروفة اليوم باسم الميناAl-Mina أوLa Marine. وقد كانت أسْوارُ المدينة القديمة من العَرْضِ بحيْثُ

---

1 البكريّ، **المسالك والممالك**، مج 1، ص ص 133 – 134.
2 البكريّ، **المصدر نفسه**، مج 2، ص 33.
3 البكريّ، **المصدر نفسه**، مج 2، ص 36.
4 البكريّ، **المصدر نفسه**، مج 2، ص 272.
5 ناصر خسرو، **سفر نامه**، ص 47.
6 Gaston Maspero, **Histoire Ancienne des peuples de L'orient Classique**, vol2, Paris, 1895, P 172 – Dussaud, **Topographie Historique**, P7.

يستطيعُ ثلاثة فُرسان السّيْر عليها مُتجاورين مع أحْصِنَتِهِم[1]. وعَلَيْه فالمدينةُ الحاليّة التي تَقَعُ على مسافة فَرْسَخ من الشّاطِئ قد بُنِيَت بعد عَصر الصّليبيّين.

17-عدلون: عَرَّفَها ابن خرداذبة بِأنَّها مِنَ الثُّغور البَحريّة التّابِعة لثُغور الإسلام والأمم والجِبال المُحيطة بها[2]، بِقولِه إنّ الثُّغور البَحريّة هي سواحل جُند حمص وانطرطوس وبانياس واللّاذقية وجَبلة والهرياذة، وسواحل جُند دمشق وعرقة وطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وحصن الصرفند وعدنون وسواحل جُند الأردن وعكّا وبصور صناعَة المَراكِب وسواحل جُند فلسطين وقيساريّة وأرسوف ويافا وعسقلان وغزّة وسواحل مصر رفح والفرما والعريش[3].

وقد وَصَفَ رينان أطلال عدلون Adloun وَصْفًا تفصيليًّا. وهو يُشير إلى أنَّ حلتون Helton هي عدلون الواقعة على السّاحل[4]، ولكِنْ يُخالِفُهُ الرّأيّ دوسّو مُشيراً إلى أنَّ تَسميَتَها هي تَحْوير لِكلمة عدنوون/عدنون Adnon، وأنَّ عدنون أقدَمُ من عدلون[5]. وقد وَرَدَ اسمها أيضًا عند ابن حوقل من خلال خريطة «صورة الشأم»[6].

18-عرجموس: يَذْكُرُ المُهلّبيّ أنّها تَبعُدُ عَنْ مدينة بيروت أربعة وعشرين مِيلًا[7]، ومَوضوع هذه المدينة أثارَ استِغْرابَ دوسّو الذي يَعْتَقِد أنَّ مدينة زحلة الحاليّة الواقعة بين بعلبك وبيروت حلَّتْ مَحَلَّ عرجموس أو عرجموش مَع وًجودِ فارقٍ بسيطٍ في تَحْديدِ المَوقِع[8]. وكان يُقال بِوجود قَبر حَبْلَة Habla بِنْت نوح عليه السلام هنا[9].

19-عرقة: يُحدّدُها ابن خرداذبة بأنَّها تَقَع ضِمْنَ السّهول البحريّة التابعة لثغورِ

---

1 Quatremère Etienne, **Histoire des sultans Mamluks**, vol2, Paris, 1827, PP 103 – 104 – Dussaud,**TOPOGRAPHIE HISTORIQUE**, P 75.

2 ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص 255، وعدلون اليوم هي بلدة ساحليّة تابعة لقضاء صيدا، معنى الاسم عبد الآلهة وفيها العديد من المغاور والكهوف التي اتخذها الصليبيّون مَعْقَلًا لهم، تَبْعُدُ عن بيروت 65 كلم جنوباً. راجع نعمة، **موسوعة المدن والقرى اللّبنانيّة**، ص ص 368 – 525 – وقد ورد اسمها في مصادرنا تحت اسم عذنون وعذلون وعدلون.

3 ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص 255، ويضيف فريحه في كتابه **معجم أسماء المدن والقرى اللّبنانيّة**، ص113، «أن معنى اسمها عيد الآلهة».

4 Renan, **Mission de Phénicie**, P 656.

5 Dussaud, **Op Cit**, P 41.

6 ابن حوقل، **المسالك والممالك**، ص ص 165 – 167.

7 المُهلّبيّ، **المسالك والممالك**، ص 83، أبو نجم، **المدن والقرى اللّبنانيّة**، ص 183.

8 Dussaud, **Op Cit**, P 403.

9 ياقوت الحمويّ، **معجم البلدان**، ج 4، ص 112 – Guy Le Strange, **Palestine under the Muslim**, London, 1890, P 397.

الإسلام والأمم والجِبال المُحيطة بِها[1]؛ بَيْنَما يَذكُر المُهلّبيّ أَنَّها مِنْ أعْمالِ دمشق وهي مِنْ آخر أعمالِها من جِهة الشمال على ساحل البحر، وبَيْنَ عرقة وطرابلس على سمت الجنوب اثنا عشر مِيلًا، وبَيْن عرقة وبعلبك ستة وستون مِيلًا[2]؛ بَينما نُلاحظ أنَّ دوسو يُخالفهُ الرأيّ بِقولِهِ إنَّ عرقة لَعِبَت دَورًا هامًّا مُنذ العُهود القديمة حتى نِهايّة الحروب الصليبيّة، وقد ورد في سِفْرِ التَّكْوين أنّ سُكّان فِينِيقْيّة الوُسْطى كانوا مِنَ العِرقيّين والسِّينِيّين[3].

وَرَدَ اسمُ عرقة في ألواحِ تلّ العمارنة أرقاتا Irqata وهي لفظةٌ مَوْجودَةٌ في العربيّة تَحْتَ اسم عرقة Irqa، وفي النّصوص الأشوريّة هي: أرقا Arqa[4]. _

فيها معبدان، الأول للإلهة الرومانيّة فينوس أركيتيدس أي فينوس ذات الوشاح، ومعبد آخر مكرَّس للإلهة عشتار المبرّجة حاميّة المدينة Poliade تظهرُ فيه حاملةً في يدها غُصنًا من شجرة القلهفة وواضعةً قدمها فوقَ الإله – النّهر الذي هو نهر عرقا[5].

20–عين الجر: تبعدُ عن بعلبك عشرين ميلًا[6] وتبعدُ عن كامد اللّوز ثمانية وعشرين ميلًا، ومِن عين الجر إلى دمشق ثمانية عشر ميلًا[7]. ويُضيف دوسّو أنّ عين جر Ain Djarr وعين الجر Ain el Djarr، وتُلفظ اليوم عنجر Andjar، عَرّفَها روبنسون مع مَوقِع الخلكيس Chalcis الواقعة على سفح جبل لبنان[8].

21–العيون: وَرَدَ ذِكرُها عند ابن خرداذبة مِن خلال تَحديده المسافات، أنَّه مِن القرعون إلى قريَة يُقال لَها العُيون تَمضي إلى كَفر ليلى، والمسافة عشرون ميلًا[9].

---

1 ابن خرداذبة، **المصدر المذكور**، ص255.

2 المُهلّبيّ، **المصدر المذكور**، ص 100 ويحدد البغداديّ في **مراصد الإطلاع**، مج 2، ص 933، أنّ عرقة هي بلدة في شرقيّ طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهي في سفح جبل بينها وبين البحر نحو المِيل، على جبلها قلعة لها وقيل: هي من العواصم بين رُفينة وطرابلس.

3 Dussaud, **Op Cit**, P80.

4 Gaston Wiet, **Les Inscriptions Arabes de Damas**, dans Syrie, Volume 2, 1921, P P 112 – 113.

5 Dussaud, **TOPOGRAPHIE HISTORIQUE**, P 91.

6 ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص 219 – وقد عرفها ياقوت الحمويّ، بأنّها جبل الشّام من ناحية بعلبك، راجع **معجم البلدان**، ج 2، ص 145– ويذكر نعمة أن عين الجر هي عنجر قضاء زحلة ومعنى الاسم العين الجارية، وهي موقع أثريّ يُخفي بَيْنَ خرائِبِه حضارات شُعوب مُختلفة، راجع **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، ص 376، فريحه، **معجم أسماء المدن والقرى اللّبنانيّة**، ص 119.

7 المُهلّبيّ، **المسالك والممالك**، ص 95.

8 Dussaud, **Op Cit**, P 400.

9 ابن خرداذبة، **المصدر المذكور**، ص 219، قرية العيون هي مدينة مرجعيون حاليًا في الجنوب اللّبنانيّ.

22-القرعون: تبعدُ عن عين الجر خمسة عشر ميلاً، والقرعون هو منزلٌ في بطنِ الوادي، ومن القرعون إلى كَفر ليلى عشرون ميلّاً[1].

23-القلمون: ذَكَرَها ابن حوقل على خريطة «صورة الشأم» أثناء تِعدادِه المُدن السّاحليّة[2]، ويذكر ناصر خسرو أن قلعة قلمون تبعد مسافة فرسخ عن طرابلس، وفي داخلها عين ماء.[3]

24-كامد: وَرَدَ اسمها عند المُهلّبيّ وهو يُعطيها أهمّيةً بقوله: إنّ مدينة كامد كانت قاعدةَ تلك البلاد قديماً، وهي تبعدُ عن مشغرة ستّة أميال وتَبعدُ عن عينِ الجر (عنجر) ثمانية عشر ميلَا[4].

25-كفر ليلى: ذَكَرَها ابن خرداذبة بقوله: «ومن العيون تَمضي إلى كفر ليلى، ومن كفر ليلى إلى طبريّة خمسة عشر ميلًا، وفي هذا الطريق يُوجد جب يوسف عليه السلام[5]، كما ورد اسمها عند دوسو Kafr kila كفركيلا[6].

26-لبنان: وَرَد هذا الاسم عِند ابن خرداذبة في خِضَمّ ذِكرِه أقاليم حِمص بقوله : «إقليم لبنان»[7]. كما وَرَدَ عِنده اسمُ لبنان عِند تِعدادِه كُورة دمشق وأقاليمها[8]، وقد وَرَدَ الاسم أيضًا عِند ابن حوقل على «خريطة الشام»[9].

ويعرّفُهُ ابن عبد المنعم الحميريّ بأنّه جبل بالشّام قريب من تدمر وهو سامي الارتفاع، ممتد الطول يتصل من البحر إلى البحر معروف بالزُّهّاد والمُنقطعين إلى الله تعالى.[10]

---

1 ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص 219، وهي موجودة في البقاع الغربيّ ومعنى الاسم اليقطينة الصغيرة، راجع نعمة، **موسوعة المدن والقرى اللّبنانيّة**، ص411.

2 ابن حوقل، **المسالك والممالك**، ص ص 165 – 167، فريحه، **المرجع المذكور**، ص 140.

3 ناصر خسرو، **سفر نامة**، ص 48.

4 المُهلّبيّ، **المصدر المذكور**، ص 95، وكامد هي اليوم مَعروفة بكامد اللّوز، وهي من قُرى البقاع الغربيّ ومعنى الاسم اللّوز الجاف، وفيها العديد من المغاور، راجع نعمة، **موسوعة المدن والقرى اللّبنانيّة**، ص219.

5 ابن خرداذبة، **المصدر المذكور**، ص 219.

6 Dussaud, **Op Cit**, P398،وكفركلا اليوم هي قرية من قرى جنوب لبنان تابعة لقضاء مرجعيون، ومعنى الاسم قرية العرائس (من الآراميّة) راجع نعمة، **المرجع المذكور**، ص 429.

7 ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص73.

8 ابن خرداذبة، **المصدر نفسه**، ص77.

9 ابن حوقل، **المسالك والممالك**، ص165، وقد سبق واستفضنا بالتفاصيل عنه والتّسميات التي أُطلقت عليه سابقًا تحت اسم جبل لبنان، فيما يذكر الإسكندريّ في كتابه **الأمكنة والمياه والجبال ونحوها**، ص 370، بأنّ لبنان هو جبلان قرب مكّة الأعلى والأسفل، ولبنان كما عرّفه فريحة بأنّه من جذر ساميّ مشترك لبن ويفيد البياض، وقد اختلفوا بأوجه التسمية بالبياض، فمن قائل نسبة إلى اللّبان أي البخور والكندر، ومن قائل لبياض ثلجه... ومن قائل أنّه سميّ بالبياض تجوّزًا أو ذلك لبهائه وصفاته وجماله، راجع فريحة، **معجم أسماء المدن والقرى اللّبنانيّة**، ص 157.

10 الحميري، **الروض المعطار**، ص 508.

بَينما يَذْكُر البكريّ خَبَرًا مُميزًا تحت عنوان: «القول في خلق حوّاء عليها السلام»، صحّ عن النبيّ عليه السلام، فقال يارب كنتُ أسمعُ أصوات الملائكة وهُم يُسبّحونك وأجِد ريح الجنّة وطِيبها، وكُنت آنس بذلك فقد ذهب ذلك عنّي، فأجابه الله سبحانه يا آدم لمعصيتك فعلت بك ذلك، وأوحى الله إليه أن لي حرمًا بِحيال عرشي، فانطلق فابنِ بيتًا تحفّ به، كما رأيْتُ الملائكة يحفّون بِعرشي، فهناك أستجيب لك ولولدك ومن كان مِنهم في طاعتي.

فقال آدم يارب وكيف لِي بذلك فقيض له ملكاً فانطلق به نحو مكّة، فكان آدم إذا مرّ بروضة أو مكان يُعجبه، يسأل الملك أن يَنْزِل به حتى أتى مكّة فصار كلّ مكان يّنزل بِه عُمراناً، وكلّ مكان تعدّاه مَفازة، فَبَنى البيت من خمسة أَجْبُل من طور سَيْناء، وطور زيْتا، ولبنان، والجوديّ، وبَنى قَواعده من حِراء، ثم أراه الملك المناسك كلّها[1].

27-اللّبوة: وَرَدَ اسمها عند ابن حوقل على خريطة «صورة الشأم» وهي تقع على طريق جوسيّه بعلبك الزبدانيّ[2].

28-الماحوز: وَرَدَ هذا الاسم عند ابن حوقل على خريطة «صورة الشأم»، وقد حدّد موقِعَها بين جبيل وجونيه[3]؛ بَينما يَذْكُر لامنس في كِتابه تسريح الأبصار: «وإنْ سِرت من برجا بَعيدًا عَنها وَجَدْت بئرًا أو عَيْنًا يَدْعُوها أهلُ تلكَ النّواحي عين ماحوز، ولعلّ أصلّها يَرتقي إلى أيام الفِينيقيّين. وهذه العَين مِنَ الأعمال القديمة الخَطيرة يُنْزَلُ إليها بِدَرَجٍ مُحكمِ الإتقان نُقِرَ في الصخر».

وكان بالقرب مِنْ هذه البئر في القرون المُتَوَسِّطة حِصْنٌ كَما يَشْهَدُ على ذلك الشريف الإدريسيّ، وفي شماليّ عَين الماحوز بالقُرب مِنْ قَرْيَتَي بوار وصفرة مَدافِن مُتَّسِعَة مَنْقورة في الصخر، لَها مَداخل عَديدة مِنْ جوانب تِلك الوديان، وهذه القُبور تَدُلّ على وُجود قَرِيَة قديمة هناك[4].

29-مشغرى: وَرَدَ اسمها مشغرا عند المُهلّبيّ، وقد عُرف عَنْها بِأنَّها مِن أنْزَهِ بَلَد في

---

1 البكري، **المسالك والممالك**، مج1، ص 18، الحميريّ، **الروض المعطار**، ص 508.

2 ابن حوقل، **المسالك والممالك**، ص 166، ويضيف فريحة في: **معجم أسماء المدن والقرى**، ص 157، أن الاسم قد يكون عربياً بمعنى أنثى الأسد، والأسد كان معروفاً في هذه البقعة من الأرض، وقد يكون سريانياً Lebbwata بمعنى القلب والوسط واللب,

3 ابن حوقل، **المصدر المذكور**، ص ص 165 – 167، ويحدد الإدريسي، محمد، في كتابه: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج1، عالم الكتب، بيروت، 1989، ص 372، ويذكر بأن ماحوز جبيل هو حصن حصين.

4 هنري لامنس، **تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار**، ج1، دار الرائد اللبناني، ط2، بيروت، 1982، ص 58.

تِلك النّاحية، وتَقَع في وادٍ في نِهاية الحُسن بالأشجار، وهي تَبْعُدُ عن صيدا أربعة وعشرين ميلاً، وتَبْعُد عَن كامد اللّوز ستة أميال[1]. وقد وَرَدَ اسمُها مَشغرة عند دوسّو، وهي تَقَع على الطريق بَين ضَيعة غِزّين Gezine جِزّين ووادي البقاع، ويُسمِّيها رينان Meshghara[2].

بَينما نُلاحظ أنَّ ليسترانج يُعرِّف مشغرة Meshghara بأنَّها بلدةٌ كبيرة تَتّبع إقليمَ البقاع[3]، على الطريق الموازية للضفة اليُمنى لِنَهر اللّيطاني، وعند تَفَرُّع الطريق نَحو جزّين وصيدا، أَيْ أنّها على الطريق المُباشرة صيدا – دمشق، وقد أَعْطَت هذه البلدة اسمها للمُرتفعات المُجاورة لها[4].

30–الناعمة: وَرَدَ اسمها فقط عِند ابن حوقل على «خريطة الشأم»[5].

31–وجه الحجر: ذَكَرَها البكريّ أثناء ذِكْرِهِ لِدمشق بقوله: «لها كُورة جَليلة ومُدُنها بصرى وأطرابلس ووَجه الحجر وأجنادين وُصولاً إلى مرج راهط»[6]. ويُسمّيها رينان أنف الحجر[7]، بَينما يَذْكُرُ دوسّو أنّ اسمها قديمًا كان Theouprosopan ثيوبروسوبون.[8]

خامساً: خاتمة وتقييم عام:

مَع نهاية هذا البحث، لا يُمكنُنا إلّا الاعتراف بأنَّ المَعلوماتِ التّي عَرضناها لا تزال مَنقوصةً، فأوّل مَهمّة كان علينا القِيام بِها هي تحديدُ اسمِ وموقعِ البلداتِ اللّبنانيّة والمدنِ مِنْ خِلال كُتُبِ الجُغرافيّين والرحّالة العرب أصحابِ المسالك والممالك، وإضافةِ بعضِ التّوضيحاتِ عليها مِن بَعْضِ كُتُب الجغرافيا والرحّالة الأجانب أحيانًا. وقد لَفَتْنا النّظر إلى وُجود عَدد لا بَأْس بِهِ مِنَ المُدُن والقُرى اللّبنانيّة التي كانَت مَعْروفةً في

---

1 المُهلّبيّ، **المسالك والممالك**، ص 95.

2 Dussaud, **Topographie Historique**, P397.

3 Le Strange, **Palestine under the Muslims, P 505**.

4 Le Strange, **Ibid**, P P 347 – 56.

5 ابن حوقل، **المسالك والممالك**، ص ص 165 – 167، والناعمة تتبع اليوم قضاء الشوف (ساحله)، والاسم الآراميّ يَدُلّ على الحُسن والجمال أي الجميلة والمستحبّة، راجع نعمة، **موسوعة المدن والقرى اللّبنانيّة**، ص 458.

6 البكريّ، **المسالك والممالك**، مج 2، ص 36، وهو رأس الشقعة، مكان مقدس عند الفِنيقيّين، وكانوا يُسمونه PENU–EL أي وَجه الإله ثُمَّ وَجْهُ الله، ولكن عندما تنصرت البلاد تمّ تغيّير الاسم إلى Lithoprospon أي وجه الحجر تَرَفُّعًا عن الوثنيّة، راجع فريحة، **معجم أسماء المدن والقرى اللّبنانيّة**، ص 187.

7 Renan, **Mission de Phénicie**, P141.

8 ويُضيف أنّ ثيوبروسوبون هي الترجمة اللّاتينيّة لاسم وجه الحجر Wadjh El Hajar الذي حلّ محلّ اسم أقدم له هو بِنة إيل Péné–EL، وإنّ رأس الشقعة والتسميّة الإغريقيّة، «ثيوبروسوبون»، تعني رأس وجه الله، بينما يَذْكُر شيخ الربوة الدّمشقيّ في كِتابه: **نُخبةُ الدّهر في عجائب البر والبحر**، تحقيق فرين ومهرن، منشورات فرانكفورت، ألمانيا، 1994، ص 144، أنّ موقعها بالقرب من طرابلس الشام.

العصور الوسطى ولَوْ بِتَسْمِيات مُختلفة اليوم عن العُصور الغابرة، مع اعترافِنا بوجود تَفاوت بَين مِنطقة وأخرى بِحَسَبِ الإشاراتِ الواردةِ عَنْها والمَأخوذة مِن مَوقعٍ مُحدّد، وبَيْنَ البَحثِ والتَّمحيص اللّذين تَتَطَلَّبهما بعض القُرى المُنْدَثِرة، لذا لم يَكُن بإمكاننا اعتمادُ إطارٍ مَنْهَجِيّ مُوَحّد في جَميع ما مَرّ معنا.

ثَمّة أمْر ملافت للنَظَر أنَّ جبل لبنان لم يُكن مَعروفًا بِشَكْلٍ جيّد مِنْ قِبَلِ الجُغرافيّين القُدماء، ومُعظمِ الجغرافيّين العَرب أيضًا، وهذا ما سَبّب ثَغرة في هذا البَحث. ولكِنْ بِما أنَّ أسماء باقي المُدن والقُرى اللّبنانيّة خاصّة الساحليّة والبقاعيّة شأنها شأن غيرها من المناطق أثارَت انْتِباهَ عَدَدٍ كبيرٍ مِنَ الجُغرافيّين، ولكِنْ بَعْدَ مُقارنة أوصافِهم تَوَصلّنا إلى المُقاربات التاليّة:

1- اتّسمَ الجُغرافيّون بِصفة الوَصْفِيّين، فقد تَركّز اهتمامُهم على مُلاحظة المَشاهد والمظاهر العامّة للمنطقة مَع ثَبات التّفاصيل الواردة عَنْها في الماضي دونَ أيّ تغيير يُذكر، ومِنها على سَبيل المثال لا الحَصر نَجِدُ أنَّ ما كَتَبَهُ ابن حوقل مَنقول بِأغلبِيَّتِهِ عَن الإصطخريّ الذي يُعتَبَر من أقدمِ جُغرافيي العصور الوسطى.

2- إنَّ الجُغرافيّين يُركِّزون بِقوّة وثَبات على عَرض مَعلوماتِهم، بالرَّغم مِن عَدَم دِقَّتِها، وعَدَم الغَوصِ في تفاصيلها، أتى عَرْضُهُم لَها بِطريقةٍ مُملّة رُبَّما لتَتَلاءم مَع أُسلوبِ العصور الوسطى آنذاك، وبالتّالي فقد غاصوا في الأساطير والحِكايات والروايات المُدهشة والمُثيرة للاستغراب دونَ أنْ يُكلّفوا أنْفُسَهُم عَناءَ تَجاوُز حُدود الإمبراطوريّة الإسلاميّة، فالمؤرّخون المسلمون (الشرقيّون بِصورة خاصّة) يَجْهَلون العالم المسيحيّ ويعرفون حتّى بِسوء الغَرب الإسلاميّ باستثناء ابن حوقل الذي يَحتوي كِتابه على عِدّة نِقاط مُهمّة تُشكّل مَصدراً تاريخيًّا وحيدًا، فضلًا عَن أنَّ فُصوله عن المغرب وإسبانيا وصقلّية يُمكن أَنْ تُعْتَبَرَ أساسيّة.

3- الإهمال في تَحديد بعض المناطق، والغُموض الذي يَلُفّ بَعض المناطق الأخرى، ومَردّ ذلك إلى صُعوبة المسالك آنذاك، رُبّما بِسبب كَثرة الوِديان والغابات والحيوانات الضّاريّة، وصُعوبة اجتياز الجبال، فاكتفى بَعضهم بإعطائِنا فَرضيّات ونَظريّات بَعيدةً كُلَّ البُعد عَن عِلم الجغرافيا اليوم. وعَلى هذا الأساس يَمكننا أنْ نَعْتبر أَنَّ كُتبَهم بالرَّغم مِن أهمّيتها عَن عصرهم، فإنها كانت بِمثابة دليلٍ سياسيّ إلى حدّ ما. الهدفُ مِنها تعريفُ الخُلفاء بِمسالك ومَمالك الدّول البعيدة، لا لِشَيْءٍ إلّا لِكَسْبِ رِضاهم ونَيْل

حَظْوَةٍ عندَهم (خصوصًا مع الإصطخريّ والبكريّ)، مَع أنّ بَعضهم تَكبّد مَشقّة السّفر وصُعوبة التّنقل بالرغم من الأخطار العسكريّة والحروب التي كانت آنذاك (صراع عبّاسيّ – فاطميّ، صراع مغوليّ – خوارزميّ، صراع مغوليّ – إسماعيليّ، صراع فاطميّ – فرنجيّ وصراع سلجوقيّ – بيزنطيّ)، مِمّا شكّل جُزرًا أمنيّة ومناطقَ مُغلقة على طائفة مُعيّنة، كما أنّ الخَوف على المصير أَجْبَر بَعض الرحّالة على أن يَنْقُلوا عَن بَعضهم البَعض، وأن يَسرِق الخَلَف عَنِ السّلَف ما كَتَبَه أو ما سَمِعَه بالتَّواتُر، (ونحن لسنا بِصَدَد تَبْرير سُوء عَمَلِهم)؛ فَقَد أعطونا معلومات مِغْلوطة أحيانًا.

4- إنَّ الأمرَ اللافت للنّظر أنّ هؤلاء الرحّالة والجغرافيّين لم يَتَطرّقوا إلى وصف المُدن والقُرى التي كانت مَأهولة آنذاك في القرون الوسطى وخُصوصاً في جبل لبنان ولبنان الشّماليّ، والذي كانت وِديانُه صَوامِع ومَحابِس للنُّسّاك والزُّهّاد. كما أنّهم لم يُعطونا أيّة تفاصيل اجتماعيّة عن سكّان المناطق التي يَزعَم البعض منهم أنّهم زاروها (زورًا)، كما أنّهم لم يُشيروا إلى أي مَعْلَم دينيّ، ولَو فَعَلوا ذلك لَكان ذلك ساعَدَنا على الأقل على التَّعرّف على التّركيبة الدِّيموغرافيّة للسكّان آنذاك.

5- إنّ الإهمال الذي عانَته المناطق اللّبنانيّة في الفترة الوَسيطة مِن تاريخ لبنان، وخاصّة في العصريْن الأمويّ والعبّاسيّ (الأول والثاني)، أمرٌ يُثير الاسْتِغراب والاستِهجان، إذا ما قِسنا بِما كُتب عن تاريخ لبنان في العَهد الفِينِيقِيّ، ومَرَدّ ذلك إلى أنَّ مُؤرِّخي القرون الوسطى لم يَكتبوا تاريخ لبنان الوسيط وخاصّة جُغرافية مُدنه وقُراه وأَحْوال شَعبه؛ نظرًا لانْشِغالِهم بالكِتابة عن الدّول والعواصم، واهتمامِهم بأخبار الخُلفاء والمُلوك دون سِواهم، مِمّا سَبَّبَ ثَغَرات وشَوائِبَ حاول بعضُ الجغرافيّين تَغْطيَتَها دون قَصد فَوقَعوا في المَحظور، وغاصُوا في مَسالك لُبنان ومَمالكِه الشّائِكة، وضاعوا في غابات جباله وهُم مَعذورون لأنّهم أغراب عَن المنطقة، ولكنّنا لا نَستطيع أن نُعطي عُذرًا للمؤرّخين اللّبنانيّين في العصور الحديثة على هذا الإهمال المُتَعَمَّد لِتاريخ وجُغرافيّة لبنان في العصور الوسيطة.

6- إنّ المَسح الجُغرافيّ الذي أعطانا إيّاه هؤلاء الرحّالة تركّز على بَعض المناطق في سهلِ البقاع نَظرًا لأهميّة مَوقعِها ولِقِدم تاريخِها الأثريّ، وكَوْنَها كانت جزءًا لا يَتَجَزّأ آنذاك مِن كُورة دمشق وأقاليمها، ونَظرًا لِسُهولة أرضِها، إضافة إلى تركيزِهم على المناطق التي تُعتبَر اليوم ساحليّة مِن طرابلس حتّى صور، وهذا ما يتّضِح جَليًا على

«خريطة الشأم» لابن حوقل، لأنَّ هذه المُدن شَكّلَت قَواعِدَ عَسكريّة ومَرْكَزَ جَذْب، وصِراعا إسلاميّا – إفرنْجِيّا، ولكِنْ هذا لا يَعني أنَّ بَعض المُدن التي تُعتبَر اليوم مَركزَ قَضاء لم تكُن مَوجودة، ولكِنْ للأسبابِ الآنِفَة الذِّكر لَم يَأْتِ هؤلاء على ذِكرِها، ولكِنْ هذا لا يُعْفيهم مِنَ التّقصير والإهمال.

7- إنَّ الطُّوبوغرافيا في بِلاد الشّام لم تَعرف أي تَقدُّم، وهي تَفْتَقِر إلى الخرائط، وإن أخبار الأصقاع التي حصلنا عليها أتَت معلوماتها مُتناقِضة أحيانًا، ويَعود السّبَب في هذا النَّقص إلى التّراجع في النّشاط العِلْمِيّ الذي رافق التَّخلّي التَّدريجيّ عَن الثَّقافة اليُونانيّة. هذا لا يَعني أنَّ العرب حاولوا إزاحَة الغُبار أو إماطَة اللِّثام عن العُلوم الجُغرافيّة القديمة، وجلّ ما قاموا بِه أنّهم نَقَلوها إلى لُغَتِهم مُسْتَعملِين مُصنّفات إسطرابون وبلّلينوس وبطليموس، ولم يظهر التّطور لدى الجُغرافيّين العَرب إلّا في بَعْضِ الكِتابات خاصّة مع ياقوت الحمويّ الذي أعطى جُغرافيّتهم قِيمةً علميّةً مُميزة.

8- إنَّ ما عَرَضْناه غيرُ كافٍ وغيرُ وافٍ، لكِنْ هذا كُلّ ما تَوَصّلْنا إليه فقط من خِلال كُتب المسالك والممالك، وبالرُّغم من مآخِذِنا عَليها فإنها سَدّت حاجةً كانت مَطلوبةً مِنها، لذا كُلُّ ما أرجوه مِن هذا البحث أنْ أكون قد عَرَضْتُ المادّة بِكُلّ دِقّةٍ ومَوضوعيّةٍ وبأمانةٍ علمية، وأنْ أكونَ قد فَتحتُ بابًا وَلَوْ صغيرًا أمامَ الباحثينَ للوُلُوج إلى باقي المَسالك والمَمالك البَعيدة والشاسعة عَلَّهُم يَمُدّوننا بِجَديدٍ ما نَحنُ في غايّةِ الشّوقِ إليه.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1 – ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله (ت 736 هـ. / 1335 م.)، **كنز الدرر وجامع الغرر**، الجزء الأول (**الدرة العليا في أخبار بدء الدنيا**)، تحقيق بيير رانكه، منشورات المعهد الألماني للآثار بالقاهرة، 1982.

2 – ابن حوقل النصيبي، أبو القاسم (ت 371 هـ. / 981 م.)، **المسالك والممالك المعروف باسم صورة الأرض**، الجزء الأول، تحقيق كرامرز، ليدن، 1938.

3 – ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 301 هـ. / 913 م.)، **المسالك والممالك**، ويليه **كتاب الخراج**، لأبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، طبعة ليدن بريل، 1889.

4 – أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن شاهنشاه بن أيوب (ت 731 هـ. / 1332 م.)، **كتاب تقويم البلدان**، صححه وطبعه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، طبعة باريس، 1840.

5 – ابن عبد المنعم الحميري، محمد (ت 900 هـ. / 1495 م.)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، حققه د. إحسان عباس، الطبعة الثانية، منشورات مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

6 – الإدريسي، محمد (ت 649 هـ. / 1251 م.)، **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، الجزء الأول، منشورات عالم الكتب، بيروت، 1989.

7 – الإسكندري، أبي الفتح نصر بن إسماعيل (ت 561 هـ. / 1166 م.)، **كتاب الأمكنة والمياه والجبال ونحوها**، تحقيق حسن النابودة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لا. ت..

8 – الإصطخري، المعروف بالكرخي، أبي إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي، (350 هـ. / 961 م.)، **مسالك الممالك**، طبعة مطبعة بريل ليدن، 1927.

9 – البغدادي، صفي الدين بن عبد الحق (ت 739 هـ. / 1338 م.)، **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، المجلد الأول والثاني والثالث، تحقيق علي البجّاوي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1992.

10 – البكريّ، أبو عبيد الله عبد الله عبد العزيز بن محمد (ت 487 هـ. / 1094 م.)، **المسالك والممالك**، المجلد الأول والثاني، حققه ووضع فهارسه د. جمال طلبة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

11 – حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي (ت 1067 هـ. / 1657 م.)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، إعتنى به محمد عبد القادر عطا، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.

12 – خسرو، ناصر (ت 453 هـ. / 1061 م.)، **سفر نامه رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري**، نقلها إلى العربية د. يحيى الخشاب،

الطبعة الثالثة، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1983.

13 – السَيُّوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن عثمان (ت 911 هـ. / 1505 م.)، **تاريخ الخلفاء**، حققه قاسم الرفاعي ومحمد العثماني، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، 1986.

14 – شيخ الربوة الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت 729 هـ./ 1327 م.)، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، تحقيق فرين ومهرن، فرانكفورت، ألمانيا، 1994.

15 – المهلبيّ، الحسن بن أحمد (ت 380 هـ. / 990 م.)، **الكتاب العزيزي المسالك والممالك**، جمعه وعلّق عليه تيسير خلف، الطبعة الأولى، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2006.

16 – ياقوت الحمويّ، أبو عبد الله الروميّ (ت 625 هـ. / 1228 م.)، **معجم البلدان**، تحقيق فريد الجندي، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

ثانياً: المراجع العربية:

1 – أبو نجم، جوزف، **المدن والقرى اللبنانية من خلال بعض الجغرافيين العرب بين القرنين العاشر والرابع عشر**، مجلة المشرق، السنة 69، كانون الثاني – حزيران، 1995.

2 – أرندنك كارل فان، مقال « **ابن خرداذبة** » في دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول، دار المعرفة، بيروت، لا.ت.، ص ص 149 – 150.

3 – البغدادي، إسماعيل باشا محمد أمين بن ميرسليم الباباني، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، الجزء الأول، إعتنى به محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.

4 – **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون**، الجزء الأول، إعتنى به محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.

5 – تدمريّ، عمر عبد السلام، **لبنان من قيام الدولة العبّاسيّة حتى سقوط الدولة الإخشيديّة 132 – 358 هـ. / 750 – 969 م**، الطبعة الأولى، جرّوس برّس، طرابلس، 1992.

6 – حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسيّ والثقافيّ والدينيّ والإجتماعيّ**، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة عشرة، دار الجيل، بيروت، 1991.

7 – حسن، محمد زكي، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، دار الرائد العربي، بيروت، لا. ت..

8 – الدمشقي، يوسف إليان سركيس، **معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة**، منشورات مكتبة سركيس، مصر، 1928، ودار صادر، بيروت، لا.ت..

9 – سوفاجيه، جان وكاهن، كلود، **مصادر دراسة التاريخ الإسلاميّ**، ترجمة د. عبد الستّار حلوجي ود. عبد الوهّاب علّوب، المجلس الأعلى للثقافة، 1998.

10 – فريحه، أنيس: **معجم أسماء المدن والقرى اللّبنانيّة**، الطبعة الثالثة، مكتبة لبنان، بيروت،

.1992

11 – فهيم، حسن محمد، **أدب الرحلات**، منشورات عالم المعرفة، العدد 138، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1409 هـ. / 1998 م..

12 – كراتشكوفسكي، إغناطيوس يوليانوفتش، **تاريخ الأدب الجغرافيّ العربيّ**، نقله من الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، 1987.

13 – كرامرز، مقال « **جغرافيا** » في دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السابع، دار المعرفة، بيروت، لا. ت..، ص ص 10 – 43.

14 – لامنس، هنري، **تسريح الآبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار**، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الرائد اللبناني، بيروت، 1982.

15 – مكي، محمد علي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، طبعة دار النهار، بيروت، لا.ت..

16 – مؤنس، حسين، **أطلس تاريخ الإسلام**، منشورات الزهراء للإعلام العربي، لا.ت..

17 – نعمة، حسن، **موسوعة المدن والقرى اللبنانية**، الطبعة الأولى، دار عون للطباعة والنشر، بيروت، 1996.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1- Bellon, Pierre, **Les observations de plusieurs singularités et choses mémorables, trouvées en Grèce, Turquie, Judée, Egypte, Arabie, et autres pays étranges, 1553**, Paris, 1897.

2- Callier, Camille, **Voyage en Asie mineure, en Syrie, en Palestine et en Arabie Pétrée**, dans Bulletin sociale de géographie de Paris, 1835.

3- Contenau, Georges, **Mission Archéologique à Sidon**, Dans journal Syria, Paris, 1920.

4- Dussaud, René, **Topographie Historique de la Syrie antique et médiévale**, édition Geuthner, Paris, 1927.

5- Eiselen, Fr. C, **Sidon, A Study in Oriental History**, New York, 1907.

6- Fleming, W. B., **The History of Tyre**, New York, 1995.

7- Jullien, Michel, **Sinaii et Syrie**, Lile, 1893.

8- Lamens, Henri, **La Syrie**, volume 1 – 2, Beyrouth, 1921.

9- Le Lasseur, Denise, **Mission Archéologique à Tyre**, Dans journal Syria, Paris, 1921.



10- Le Strange, Guy, **Palestine under the Muslims**, London, 1890.

11- Maspero, Gaston, **Histoire ancienne des peuples de l'orient classique**, vol II, Paris, 1895.

12- Moqbul, Ahmad, Art **" Djughrafiya "** Dans EI2, Vol II, 1977, P P 590 – 602.

13- Pellat, Charles, Art **" Al Masalik Wa – L – Mamali**k " Dans EI2, Vol VI, 1992, P P 624 – 625.

14- Qatremère, Étienne, **Histoire des Sultans Mamelouks**, Paris, 1827.

15- Renan, Ernest, **Mission de Phénicie, avec Atlas**, volume 1, Paris, 1874.

16- Wiet, Gaston, **Les Inscriptions Arabes de Damas**, Dans journal Syrie, Paris, 1923.